

أصول التفسير عند المفسرين، مع نماذج من استعمال الإمامين محمد أبي زهرة ومحمد سيد طنطاوي لتلك الأصول

د. زهر صالح إسماعيل أبو عبيد الله

<https://doi.org/10.65723/RMSP26104>

المخلص

جاء هذا البحث تحت عنوان: "أصول التفسير عند المفسرين، مع نماذج من استعمال الإمامين محمد أبي زهرة ومحمد سيد طنطاوي لتلك الأصول"، وقد أورد الشيخان مفاتيح أصولية تفسيرية لمبهمات ألفاظ القرآن الكريم التي تعتبر ركيزة مهمة لكل مفسر أراد التفسير والغوص في دلالات الألفاظ للوصول إلى المعنى المنشود، وهذا ما يسمى بأصول التفسير. ثم شرعت الباحثة بذكر أهمية هذه الدراسة، وأسباب اختيارها، وهو الكشف عن مراد الله تبارك وتعالى من كتابه العزيز، لأن هذا الموضوع يتعلق بكتابين من أشهر كتب التفسير الحديثة، وهما: "زهرة التفاسير: للإمام لأبي زهرة"، و"التفسير الوسيط" للإمام طنطاوي، ولعمق هذا الموضوع من الناحية العلمية، حيث اتسم بالجدة والابتكار، لذا تشكل لدى الباحثة أهم أهداف هذا الموضوع التي تمثلت في إبراز وتطبيق علم أصول التفسير عند هذين العالَمين الجليلين، وبيان مدى اعتنائهما بهذا العلم وتطبيقه في تفسيريهما، والتعرف على منهجهما في توظيف هذه القواعد، وبيان مدى التزامهما بهذا المنهج في أقوالهما وترجيحاتهما، حيث سلكت الباحثة المنهج الإستقرائي التحليلي بين آراء المفسرين، واستخراج مسائل أصول التفسير الواردة في تفسيريهما ودراستها والمقارنة بين أقوال الإمامين.

الكلمات المفتاحية: أصول التفسير، نماذج، زهرة التفاسير، التفسير الوسيط.

Abstract:

This research, titled "The Principles of Interpretation Among Interpreters: Models of Application by Imams Muhammad Abu Zahra and Muhammad Sayyid Tantawi," presents the foundational interpretive keys provided by the two scholars for clarifying obscure Qur'anic vocabulary. These keys are considered a vital pillar for any interpreter seeking to dive into the connotations of words to reach the sought-after meaning, which is known as the Principles of Interpretation. The researcher outlines the significance of this study and the motives for its selection, primarily the aim to uncover the intent of Almighty Allah in His Noble Book. This subject is particularly important as it relates to two of the most famous modern books of interpretation: "Zahrat al-Tafasir" by Imam Abu Zahra and "Al-Tafsir al-Wasit" by Imam Tantawi. Given the scientific depth, novelty, and innovation of the topic, the researcher has defined the primary objectives as follows: highlighting and applying the science of the principles of interpretation according to these two eminent

figures, clarifying the extent of their interest in this science and its application within their interpretations, and identifying their methodology in employing these rules and showing the extent of their commitment to this approach in their scholarly views and preferences. The researcher adopted an inductive-analytical approach to survey the views of the interpreters, extracting the issues of the principles of interpretation mentioned in their works, studying them, and conducting a comparison between the views of the two Imams.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدايةً لنا ورحمة، وفضل أمة محمد وجعلها خير أمة، وكرمها بالشرعية السمحة الطاهرة، وأيدها بالحجج الباهرة القاهرة، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام الأتقياء، الذي فسر القرآن وبيّن الأحكام وعلى آله وأصحابه النجباء الكرام. وبعد:

فإن من أعظم ما كرم الله به الإنسان ورفع على سائر المخلوقات هو العلم والمعرفة، وأفضل العلم وأجله هو ما حواه كتاب الله تعالى، وكل زمن يعلو البشر بعلومهم فكتاب الله أعلى وأعظم، وإن أفضل ما يشتغل به المشتغلون ويتنافس فيه المتنافسون، وما تبدل فيه الأعمار والسنون هو الاعتناء بكتاب الله سبحانه وتعالى قراءةً وتدبراً وبياناً لمعانيه، وعملاً بهداياته.

ولقد لقي كتاب الله سبحانه وتعالى من الاعتناء ما لم يعرفه كتاب على وجه البسيطة من حيث بيان معانيه وقراءاته ولغته والقواعد والأصول التي تضبط الفهم من الزلل في كتاب الله، فقعد العلماء قواعدً، وأصلوا أصولاً، الغرض منها الفهم لكلام المولى واستنباط معانيه على الوجه الصحيح، لذلك تعتبر أصول التفسير مهمة لكل مفسر أراد الغوص في فهم معنى آيات الله تعالى لذلك قمت متوكلية على الله سبحانه وتعالى، بدراسة الأصول التفسيرية عند الإمام أبي زهرة والإمام طنطاوي من خلال كتابيهما: زهرة التفاسير، والتفسير الوسيط: وإيراد بعض النماذج المتمثلة بأصول التفسير عندهما.

أولاً: مشكلة البحث:

تسعى الباحثة لإيجاد حلول منطقية لمشكلة البحث تتلخص فيما يلي: إنه لما كثرت الأقوال في التفاسير وتنوعت، واختلط فيها الراجح بالمرجوح والصواب بالخطأ، استدعى ذلك إلى ضرورة التمييز بين هذه الأقوال، وبيان الأصول والقواعد التي أقام عليها هؤلاء المفسرون تفاسيرهم، فكان من الأهمية بمكان دراسة علم أصول التفسير عند أبي زهرة وطنطاوي من خلال تفسيريهما، لبيان مدى اعتنائهما بعلم أصول التفسير، وإبراز أثر ذلك على أقوالهما.

وينبثق عن هذه المشكلة التساؤلات الرئيسية الآتية:

ماهي الأصول التفسيرية التي استخدمها أبو زهرة ومحمد سيد طنطاوي في كتابيهما.

ويتفرع من هذا التساؤل التساؤلات الآتية:

- ما مدى اعتناء أبو زهرة ومحمد سيد طنطاوي بعلم أصول التفسير؟
- هل هناك منهج معين التزم به الإمامان في توظيف قواعد علم أصول التفسير؟

ثانياً: أهداف البحث:

- إبراز وتطبيق علم أصول التفسير عند المفسرين، من خلال كتاب "زهرة التفاسير: للإمام محمد أبي زهرة".
- وكتاب "التفسير الوسيط" للإمام محمد سيد طنطاوي.
- بيان مدى اعتناء الإمامين بعلم أصول التفسير وتطبيقه في تفسيريهما.
- التعرف على منهج هذين العَلَمَيْنِ الجليلين في توظيف قواعد علم أصول التفسير.

ثالثاً: أهمية البحث:

1. شرف هذا الموضوع بشرف المعلوم لتعلقه بكتاب الله تعالى الذي هو أشرف كتبه وأعظمها.
2. الصلة الوثيقة لهذا الموضوع بعلم التفسير الأساسي وهو الكشف عن مراد الله تعالى.
3. تعلق هذا الموضوع بكتابين من أشهر كتب التفسير، وهما: "زهرة التفاسير" للإمام أبي زهرة، و"التفسير الوسيط" للإمام محمد سيد طنطاوي.
4. عمق هذا الموضوع من الناحية العلمية، وما يتسم به من الجدة والابتكار.

رابعاً: أسباب اختيار الموضوع:

- تتلخص أسباب اختيار الموضوع في نقاط عديدة، كان أهمها ما يلي:
1. شدة الحاجة إلى التعرف على علم أصول التفسير، مع غفلة أكثر طلبة العلم عن الاشتغال به تعلماً وتعليماً وكتابةً.
 2. غزارة المادة العلمية التي تصلح لدراسة أصول التفسير في تفسيري الإمامين الجليلين.
 3. أهمية ما العلم وأثره في ضبط تفسير القرآن بقواعده الصحيحة، واستنباط معانيه وفهمه.
 4. منزلة الإمامين الجليلين أبي زهرة وطنطاوي الرفيعة بين علماء التفسير قديماً وحديثاً، والقيمة العلمية لتفسيريهما.

خامساً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والإطلاع حول ما كتب في آراء الإمامين أبي زهرة، ومحمد سيد طنطاوي، لم تجد الباحثة دراسة علمية سابقة مستقلة تتناول موضوع بحثي هذا (أصول التفسير عند المفسرين، مع نماذج من استعمال الإمامين محمد أبي زهرة ومحمد سيد طنطاوي لتلك الأصول) ولكن وجدت الباحثة بعض الدراسات السابقة السابقة التي أفردت مباحث مستقلة لتفسيريهما اشتملت على مواضيع أخرى كمنهجهما في التفسير وآراؤهما الاعتقادية والوحدة الموضوعية.

سادساً: منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، لمعرفة وجرد أصول التفسير التي عليها مدار هذا البحث وتتبع هذه الأصول التفسيرية المتعلقة بالتفسير وإيرادها، من الكتابين "زهرة التفاسير"، و"التفسير الوسيط" حسب خطة البحث.

سابعاً: خطة البحث:

- ويحتوي البحث على مقدمة وستة مباحث، وخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، وهي على النحو الآتي:
- المقدمة: وتشمل أهمية البحث، وأهدافه، ومشكلته، ومنهجيته.
- المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن، وفيه خمسة مطالب:
- المطلب الأول: بيان المجل.
- المطلب الثاني: تقييد المطلق.
- المطلب الثالث: تخصيص العام.
- المطلب الرابع: تفسير المفهوم من آية ب آية أخرى.
- المطلب الخامس: بيان لفظة في آية ب آية أخرى.
- المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: النص على تفسير آية أو لفظة.
- المطلب الثاني: تفسير النبي (صلي الله عليه وسلم) لما أشكل على الصحابة من فهم آية.
- المطلب الثالث: ورود ما يصلح أن يكون تفسيراً لآية من كلامه (صلي الله عليه وسلم).
- المطلب الرابع: نماذج من استعمال الإمامين أبي زهرة وطنطاوي لتفسير القرآن بالسنة.
- المبحث الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة، وفيه أربعة مطالب:
- المطلب الأول: أسباب الرجوع إلى تفسير الصحابة.
- المطلب الثاني: مصادر الصحابة في التفسير.
- المطلب الثالث: حكم تفسير الصحابة.

المطلب الرابع: نماذج من استعمال الإمامين أبي زهرة وطنطاوي لتفسير الصحابة.
المبحث الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: أسباب الرجوع إلى تفسير التابعين.
المطلب الثاني: مصادر التابعين في التفسير.
المطلب الثالث: حكم تفسير التابعين.

المطلب الرابع: نماذج من استعمال الإمامين أبي زهرة وطنطاوي لتفسير التابعين.
المبحث الخامس: تفسير القرآن باللغة، وفيه مطلبين:
المطلب الأول: أسباب الرجوع إلى التفسير باللغة.

المطلب الثالث: نماذج من استعمال الإمامين أبي زهرة وطنطاوي للتفسير باللغة.
المبحث السادس: تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: ذكر الخلاف في التفسير بالرأي والاجتهاد.
المطلب الثاني: العلم الذي يحتاجه من فسر بالرأي والاجتهاد.
المطلب الثالث: الحد الذي ينتهي إلى التفسير بالرأي والاجتهاد.
المطلب الرابع: مدى استعمال الإمامين أبي زهرة وطنطاوي للتفسير بالرأي والاجتهاد.

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

التفسيرُ بالمأثور يتكوّن من كلمتين، التفسير، المأثور، وسأبين هنا معنى التفسير بالمأثور في اللغة والاصطلاح.
الأثر لغةً: هو بقية الشيء ويقال من أثرت البعير فهو مأثور، وهو الخبر والجمع آثارٌ وأثور. وقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ
نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) {يس:12}، أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم
ونكتب آثارهم، وسنن النبي (صلي الله عليه وسلم) آثاره، والحديث المأثور أي يخبروا الناس به بعضهم بعضاً، أي
ينقله خلف عن سلف.¹

اصطلاحاً: هو البيان والتفصيل والتوضيح لمراد الله تعالى لبعض آياته، ويعتمد على صحيح النقل من تفسير القرآن،
وما نُقِلَ عن النبي (صلي الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين.²
وعده العلماء أصح طرق التفسير وهو أن يُفسر القرآن بالقرآن لأنه ما أُجملَ في مكانٍ فإنه نجده قد بسطَ في موضع
آخر، وما لم نجده في تفسير القرآن بالقرآن نجده بالسنة النبوية لأنها شارحة للقرآن وموضحة له لقول الله تعالى: (وَمَا
أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) {النحل: 64}.
وستقوم الباحثة بعرض نماذج من هذه الأصول من كتابي التفسير عند كلِّ من المفسرين الإمامين الجليلين أبي زهرة
وطنطاوي.

المطلب الأول: بيان المجلّم.

المجلّم في اللغة: مفعّل بصيغة اسم المفعول بالوصف من أجمله، أي: أذابه، والإجمال: الإذابة. أجمل الشحم إذا أذابه،
والكلام التي لا تتضح دلالاته كالشحم المذاب.³
المجلّم اصطلاحاً: هو اللفظ الخفي الدلالة خفاءً راجحاً، أي لا عموم فيه أو إطلاق،⁴ وهو ما احتاج إلى البيان.⁵
المبين لغةً: البيان في الأصل الإظهار، اسم مصدر بيّن الشيء بياناً إذا أظهره.⁶
المبين اصطلاحاً: هو اللفظ الواضح الدلالة لا تخصيص فيه أو تقييد.⁷

(1) انظر لسان العرب: لابن منظور: ج4، ص5، 6، مرجع سابق. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، أبو العباس، (ت: 770هـ) ج1، ص4، ط1، ن: بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.

(2) انظر: التفسير والمفسرون: للذهبي. ج1، ص112 بتصرف، مرجع سابق.

(3) لسان العرب: لابن منظور: ج11، ص127، مرجع سابق. شرح الورقات في أصول الفقه: للشيخ محمد الحسن ولد محمد الددو الشنقيطي. دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (islamweb.net)، ج3، ص14.

(4) شرح الورقات في أصول الفقه: ج3، ص14، مرجع سابق.

(5) فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار: ص39، مرجع سابق.

(6) شرح الورقات في أصول الفقه: ج3، ص14، المرجع السابق.

(7) المرجع نفسه: ج3، ص14.

ومثال ذلك للإمامين أبي زهرة وطنطاوي عند تفسيريهما لقوله تعالى: (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) {النحل: 65}.

أولاً: قول الإمام أبي زهرة -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) المراد ما علا، وأنزل الله السماء من أعلى حيث تتكون السحب الثقالة حاملة الماء عنياً فراتاً في بخار ينكثف، ويصير ماءً ينزل مطراً مدراراً، ويكون غيثاً، كما قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقَةٍ) {النور: 43}.⁸

ثانياً: قول الإمام طنطاوي عند تفسيره لقوله تعالى: (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً): والمراد بالسماء في قوله -تعالى-: (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) جهة العلو أو السحاب المنتشر في طبقات الجو العليا والذي تنزل منه الأمطار. والمراد بإحياء الأرض: تحرك القوى النامية فيها، وإظهار ما أودعه الله -تعالى- فيها من نبات وأزهار، وثمرات، وغير ذلك مما تنبهت الأرض. والمراد بموتها: خلوها من ذلك، بسبب استيلاء القحط والجذب عليها. قال -تعالى-: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) {الحج: 5}. أي: وكما أنزل الله -تعالى- كتابه ليكون هداية ورحمة لقوم يؤمنون، أنزل - سبحانه- أيضاً الماء من السماء على الأرض، فتحولت بسبب نزول هذا الماء المبارك الكثير عليها، من أرض جدياء خاملة، إلى أرض خضراء رابية. ثم حرّض - سبحانه- عباده على التدبّر والشكر فقال -تعالى-: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) {النحل: 65}. أي: إن في ذلك الذي فعلناه بقدرتنا وحدها، من إنزال الماء من السماء، وإحياء الأرض به من بعد موتها، آية عظيمة، وعبرة جليلة، ودلالة واضحة تدل على وحدانيتنا وقدرتنا وحكمتنا،... ثم أُرشد - سبحانه- إلى مظهر آخر من مظاهر وحدانيتنا، وعظيم قدرته وعجيب صنعه، وسعة رحمته، حيث خلق للناس الأنعام، وسقاهم من ألبانها، فقال -تعالى-: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً) {النحل: 66}.⁹

تري الباحثة في هذا المثال أن الإمامين اتفقا بتفسير القرآن بالقرآن وقاما ببيان ما أجمل في موضع بمواضع أخرى وعنيا بذلك عناية ظاهرة وأوضحا المقصود بالماء المنزل من جهة العلو وسببه السحاب المنتشر في طبقات الجو العليا والذي تنزل منه الأمطار، وهو الذي أعطى للأرض الحياة وأغاث من عليها من مخلوقات. ولكن الإمام أبا زهرة اختلف عن طنطاوي بأن ذكر تفصيل ومراحل نزول المطر إلى الأرض.

المطلب الثاني: تقييد المطلق.

المطلق لغة: اسم مفعول مأخوذ من (طَلَّقَ)، وهو يذلل على التخليّة والإرسال والتحرر من القيد. يُقَالُ طَلَّقَ طُلُوقَةً وَطَلَّاقًا، أي تحرر من يده ونحوه، و طَلَّقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ زَوْجِهَا طَلَّاقًا بمعنى تحلّت من قيد الزوجية.¹⁰

اصطلاحاً: هو الذي لا يمتنع نفس مفهومه من وقع الاشتراك في معناه.¹¹ وقيل هو ما دلّ على الماهية بلا قيد.¹²

المقيد لغة: مأخوذ من القيد، والقيد حبلٌ ونحوه يُجعل في رحل الدابة وغيرها فيمسكها، وجمعه أقيادٌ وقيد، ثم يستعار في كل شيء يُحبس ويكبل به، يُقال: قَيَّدْتُ أَقِيدُهُ تَقْيِيدًا، أي حبسته ومنعته من الحركة، والمقيد موضع القيد من رجل الفرس والخُلال من المرأة، ويُقال قَيَّدْتُهُ تَقْيِيدًا إذا جعلت المقيد في رجله ومنه مجازاً، تقييد الألفاظ فيما يمتنع الاختلال ويُزيل القياس.¹³

اصطلاحاً: قال الأمدى: المقيد يُطلق على اعتبارين: الأول: هو ما كان من الألفاظ الدالة على مدلول معين كزيد وعمر ونحوه، والثاني: هو ما كان من الألفاظ دالاً على وصف مدلوله المطلق بصفة زائدة عليه؛ كقولك: (دينارٌ مصريٌّ، ودرهمٌ مكيٌّ).¹⁴

والأصل العمل بالمطلق إلا إذا قام الدليل على التقييد، وفي ذلك قال الزركشي: إن وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلا فلا، والمطلق على إطلاقه، والمقيد على تقييده؛ لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب. والضابط أن الله تعالى

⁸ زهرة التفسير: لأبي زهرة: ج8، ص209، مصدر سابق.

⁹ التفسير الوسيط: لطنطاوي: ج8، ص182، مصدر سابق.

¹⁰ (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: للرافعي: مادة (طلق) ج2، ص376.

¹¹ (المستصفي: أبي حامد الغزالي الطوسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، ص26، ط1: 1413-1993م، ن: دار الكتب العلمية، 1413-1993م.

¹² (الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي ج3، ص101، مرجع سابق.

¹³ (القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر ابن يعقوب الفيروز ابادي: ج3، ص720، دار التراث، ط8، 1426هـ. لسان العرب: لابن منظور: ج3، ص382، مرجع سابق. المصباح المنير في غريب

الشرح الكبير: للرافعي: مرجع سابق. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي، مادة (قيد) ج9، ص85، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء

في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (د.طت)، (ت.ن): (1385-1422هـ) = (1965-2001م).

¹⁴ (انظر: الأحكام في أصول الأحكام: للأمدى: ج3، ص4، مرجع سابق.

إِذَا حَكَمَ فِي شَيْءٍ بِصِفَةٍ أَوْ شَرِطٍ ثُمَّ وَرَدَ حُكْمٌ آخَرَ مُطْلَقًا نَظَرَ؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَسْلٌ يُرَدُّ إِلَيْهِ إِلَّا ذَلِكَ الْحُكْمُ الْمُقَيَّدُ وَجَبَ تَقْيِيدُ بِهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ أَسْلٌ غَيْرُهُ لَمْ يَكُنْ رَدُّهُ إِلَى أَحَدِهِمَا بِأُولَى مِنَ الْآخِرِ.¹⁵

ومثال ذلك للإمامين أبي زهرة وطنطاوي عند تفسيريهما لقوله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ) {يوسف:4}

أولاً: قول الإمام أبي زهرة عند تفسيره لقوله تعالى: (إِنِّي رَأَيْتُ) من الرؤيا لا من الرؤية البصرية، فهي رؤيا في المنام، لقول أبيه له فيما قصَّ القرآن الكريم: (لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ) {يوسف:5}، الرؤية تكون رمزاً لأمرٍ مُغيباً، فهذه الكواكب أحد عشر، رمزٌ لإخوته وعددهم أحد عشر، وقد قال في ذلك ابن عباس وقتادة: الكواكب إخوته، والشمس أمه، والقمر أبوه، وهذا تأويل الرؤيا كما فهم يعقوب أبوه، والسجود هو الخضوع، وقد ظهر التأويل الصادق في آخر السورة، وقد خضع لحكمه أبواه وإخوته.¹⁶

ثانياً: قول الإمام طنطاوي عند تفسيره لقوله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ) {يوسف:4}: والمعنى: أذكر -أيها الرسول الكريم أو أيها المخاطب- وقت أن قال يوسف لأبيه، يا أبتِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) تسجد لي، ورأيت كذلك (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ). ولم يُدرج الشمس والقمر في الكواكب مع أنهما منها، لإظهار ميزتهما ورفعاً لشأنيهما، وجملة (رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ) مُستأنفة لبيان الحالة التي رآهم عليها. وأجريت هذه الكواكب مجرى العُقلاء في الضمير المُختص بها، لوصفها بوصفهم حيث إن السجود من صفات العُقلاء، والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته. قال ابن كثير: وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام أن الأحد عشر كوكباً عبارة عن إخوته، وكانوا أحد عشر رجلاً، والشمس والقمر عبارة عن أبيه وأمه. روي هذا عن ابن عباس، والضحاك، وقتادة وسفيان الثوري، وعبد الرحمن بن زيد، وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة، وقيل بعد ثمانين سنة، وذلك حين رُفِعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ.¹⁷

في هذا المثال اتفق الإمامان أبو زهرة وطنطاوي أن المقصود بأحد عشر كوكباً هم إخوة يوسف، وعددهم أحد عشر رجلاً.

وترى الباحثة هنا: [أن هذه الآية من باب تقييد المطلق حيث قيّد العدد أحد عشر بالتمييز (كوكباً) لأن التمييز: هو كالصفة في المعنى فيجوز تقييد المطلق بالتمييز لعدم وجود مانع، فالتمييز هنا كوكباً جاء مُقيداً للفظ المطلق أحد عشر].¹⁸

المطلب الثالث: تخصيص العام

العام: لغة: كما يدلُّ عليه اسمه لغةً، فهو ما يشملُ أو هو ما عمَّ شَيْئَيْنِ فَأَكْثَرَ مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ.

وإصطلاحاً: هو اللفظ المُستغرق لجميع أفرادِهِ بلا حَصْرٍ،¹⁹ كقوله تعالى: (إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ) {الحجر:45}، فلفظُ الْمُتَوَيْنِ يَعُمُّ فَرْدَيْنِ فَمَا فَوْقَ.²⁰

الخاص: ما يُقَابِلُ العام، فهو الذي لا يَسْتغْرِقُ الصَّالِحَ لَهُ مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ،²¹ أو هو لفظٌ وُضِعَ لمعنى معلوم، أو لمسمى معلوم على الإنفراد.²²

والأصل أن تبقى ألفاظ القرآن على عمومها حتى يأتي ما يُخصِّصها، ومثال ذلك قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) {البقرة:228}: فهذا حكم عام في جميع المطلقات، ثم جاء ما يُخصِّصُ العام بالمرأة الحامل، وخص من عموم المطلقات أولات الأحمال كما في قوله تعالى: (وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) {الطلاق:4}. ومثال ذلك للإمامين أبي زهرة وطنطاوي: عند تفسيريهما لقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّءْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) {الإسراء:60}.

¹⁵ البرهان في علوم القرآن: للزركشي، ج2، ص15، مرجع سابق.

¹⁶ زهرة التفسير: لأبي زهرة: ج7، ص3798، مصدر سابق.

¹⁷ التفسير الوسيط: لطنطاوي: ج7، ص317، مصدر سابق.

¹⁸ الإطلاق والتقييد وأثرهما في التفسير دراسة تطبيقية على سورتَي آل عمران والنساء: فوزية أحمد فضل مختار، إشراف د. عثمان محمد أحمد جامعة أفريقيا العالمية، 1438هـ-2017م.

¹⁹ مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان، ص226، مرجع سابق.

²⁰ الأحكام في أصول الأحكام: للامدي: ج2، ص196، مرجع سابق.

²¹ مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان: ص232، مرجع سابق.

²² أصول الشاشي: نظام الدين أبي علي الشاشي، ص13، (ت.ط.)، (1402-1982م) ن: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

أولاً: قول الإمام أبي زهرة عند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذْ مُتَعَلِّفَةً بِمَحْدُوفٍ تَأْوِيلُهُ "اذكر"، أي اذكر الوقت الذي قلنا: (إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ))، الناس إما أن يُريدَ بهم الناس جميعاً، وهو الظاهر، فالعالم لا يُرادُ به بعض من يشملهم إلا بقرينة تدلُّ على الخصوص، ومعنى الإحاطة العلم أو القدرة أو الإهلاك، فمن العلم قوله تعالى: (أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)، والقدرة أي أن كلَّ شيءٍ في قبضته، والإهلاك مثل (وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ)، أي تعرَّضوا للهلاك. والمعنى إننا أعلمناك بوحى أن الناس قد أُحيطَ بهم، وأنهم في قبضة الله تعالى، والله عاصمك منهم فبلغ دعوتك غير خائف، فإنه سبحانه وتعالى عاصمك من الناس كما في قوله تعالى: (بِأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ). ويفسر الزمخشري الناس بأنهم أهل مكة، والإحاطة الإهلاك، وقد بلغ الله نبيه يوم بدر بأن يهلكهم، ويفسر الرؤيا المنامية بأنها رؤياه أنه مهلكهم في هذه الغزوة، وأنه إن لم يهلكهم بالإبادة فقد أضعف سلطانهم، وقد قال في ذلك: "واذكر إذا أوحينا إليك أن ربك (أَحَاطَ بِالنَّاسِ)، أي بقريش، يعني بشرناك بوقعة بدر، وبالنصرة عليهم، وذلك قوله: (سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) {القمر:45} (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتًا لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) {الحجرات:12}، وغير ذلك، فجعله كأنه قد كان وجد، فقال أحاط بالناس على عادته في إخباره، وحين تراخف الفريقان يوم بدر، والنبى (صلي الله عليه وسلم) في العريش مع أبي بكر كان يدعو ويقول: "اللهم إني أسألك عهدك ووعدك" ²³ ثم خرج وعليه الدرغ يُحرص الناس...

وخلصه تفسير الإمام الزمخشري أنه يفسر الناس بأهل مكة، وأن الرؤيا رؤيا منامية، وأنه رؤيا النبي (صلي الله عليه وسلم) التي رآها عندما التقى الجمعان في يوم الفرقان، وأن الهلاك ذهاب شوكة المشركين، وإن أخبار القرآن الكريم تكون عن وقائع المستقبل كأنها وقعت الآن، وكان النبي (صلي الله عليه وسلم) قد أخبر بذلك عندما اشتد أذاهم وإثباتهم، وكانت الفتنة في أنهم كذبوا. ونحن مع إجلالنا لمقام الإمام الزمخشري في البيان لا نرى رأيه: لأنه تأويل بعيد، لأنه تأويل بعيد، ولأنه لا تكون فتنة، ولم يحدث كفر لهذه المناسبة، لأن الأصل إطلاق العام على عمومه، حتى يقوم دليل أو قرينة على إرادة التخصيص. ²⁴

ثانياً: قول الإمام سيد طنطاوي عند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) أي: واذكر-أيها الرسول الكريم- وقت أن قلنا لك على لسان وحيينا. إن ربك سبحانه وتعالى قد أحاط بالناس علماً وقدرة. فهم في قبضته، وتحت تصرفه، وقد عصمك منهم، فامض في طريقك. وبلغ رسالة ربك، دون أن تخشى من كفار مكة أو من غيرهم، عدواناً على حياتك، فقد عصمك -سبحانه- منهم. وفي هذه الجملة ما فيها من التسلية للنبي (صلي الله عليه وسلم)، ومن التبشير له ولأصحابه، بأن العاقبة ستكون لهم، ومن الحض لهم على المضى في طريقهم دون أن يخشوا أحداً إلا الله. والمراد بالرؤيا في قوله- تعالى:- (وَمَا جَعَلْنَا الرُّعْيَا الَّتِي أُرِيْتُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ): ما رآه النبي (صلي الله عليه وسلم) وعائنه بعينيه من عجائب، ليلة الإسراء والمعراج. أي: وما جعلنا ما رأيته وعائنته ليلة إسرائنا بك من غرائب، إلا فتنة للناس. لئتميز قوئ الإيمان من ضعيفه، وسليم القلب من مريضه. وأطلق -سبحانه- على ما أراه لنبيه ليلة الإسراء لفظ الرؤيا مع أنه كان يقظة "لأن هذا اللفظ يُطلق حقيقة على رؤيا المنام، وعلى رؤية اليقظة ليلاً فإنه قد يُقال لرؤية العين رؤيا، كما في قول الشاعر يصف صانداً: وكبر للرويا وهش فؤاده .. أي: وسر لرؤيته للصيد الذي سيصيده. أو أطلق عليه لفظ الرؤيا على سبيل التشبيه بالرؤيا المنامية، نظراً لما رآه في تلك الليلة من عجائب سماوية وأرضية، أو أطلق عليه ذلك بسبب أن ما رآه قد كان ليلاً. وقد كان في سرعته كأنه رؤيا منامية. وكان ما رآه (صلي الله عليه وسلم) في تلك الليلة فتنة للناس، لأنه لما قص عليهم ما رآه، ارتد بعضهم عن الإسلام، وتردد البعض الآخر في قبوله، وضافت عقولهم عن تصديقه، زاعمة أنه لا يمكن أن يذهب (صلي الله عليه وسلم) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم يعرج إلى السماوات الغلا .. ثم يعود إلى مكة، كل ذلك في ليلة واحدة. وبعضهم يرى أن المراد بالرؤيا هنا: ما رآه النبي (صلي الله عليه وسلم) من أنه سيدخل مكة هو وأصحابه .. وبعضهم يرى أن المراد بها هنا: ما أراه الله -تعالى- لنبيه في منامه، من مصارع المشركين قبل غزوة بدر فقد قال (صلي الله عليه وسلم) قبل بدء المعركة: (والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم. ثم أوما إلى الأرض وقال: هذا مصرع فلان. وهذا مصرع فلان). ²⁵ والذي نرجحه هو الرأي

²³ صحيح وضعيف "تاريخ الطبري"، أبي جعفر بن جرير الطبري (224-310)، ج2، ص102، حققه وخرج رواياته: محمد بن طاهر البرزنجي إشراف ومراجعة: محمد صبحي حسن حلاق، (ت: 1438هـ)، ط1: 1428-2007م، ن: دار ابن كثير، دمشق - بيروت.

²⁴ زهرة التفاسير: لأبي زهرة: ج8، ص4410، مصدر سابق.

²⁵ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ)، ج9، ص357، ك: (82) القفر، ح6613، ط7: 1323هـ، ن: المطبعة الكبرى الأميرية - مصر.

الأول، لأنه هو الظاهر من معنى الآية الكريمة، ولأنه على الرأيين الثاني والثالث يترجّح أنّ الآية مدنية، لأنّ غزوة بدرٍ وفتح مكة كانا بعد الهجرة، والتحقيق أنّ هذه الآية مكية.²⁶ يلاحظ في هذا المثال أنّ الإمام أبا زهرة بعد نقله عن الزمخشريّ وضح رأيه من تفسير الزمخشريّ وقد ردّ تفسيره بقوله: «ونحن مع إجلالنا لمقام الإمام الزمخشريّ في البيان لا نرى رأيه»، وذكر أنه يجب إبقاء العام على عمومه ولا داعي للتخصيص طالما أنه لا يوجد قرينة على تخصيصه فالناس هنا المقصود بها عموم الناس وليس أهل مكة. والإمام طنطاوي أيضاً فسّر المقصود بالناس عموم الناس. وترى الباحثة هنا هذا أن الإمامين اتفقا على عموم اللفظ (الناس) وليس التخصيص بأهل مكة.

المطلب الرابع: تفسير المفهوم من آية بآية أخرى.

المفهوم لغة: اسم مفعول من فهم، فهمت الشيء فهماً: أي علمته، والفهم معرفة الشيء وعلمه وعقله، والجمع مفاهيم.²⁷ مثل قوله (صلي الله عليه وسلم): (في الغنم السائمة الزكاة)،²⁸ فلما وصفت الغنم الواجب فيها الزكاة بالسوم فهم من ذلك عدم الزكاة في الغنم المعلوفة.

المفهوم اصطلاحاً: ما دلّ عليه اللفظ لا في محلّ النطق.²⁹ ويقابله المنطوق، وهما نوعان:

النوع الأول: مفهوم الموافقة: هو أن يكون المسكوت عنه موافقاً للمنطوق في الحكم، وهما قسمان:

القسم الأول: أن يكون المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به.

القسم الثاني: أن يكون المسكوت عنه مساوياً للمنطوق في الحكم.

النوع الثاني: مفهوم المخالفة: هو أن يكون المسكوت عنه مخالفاً للمنطوق في الحكم.³⁰

المنطوق لغة: اسم مفعول من نطق، ينطق، نطقاً، ونطقاً، ومنطوق العلوم اللغوية هو شفويّ خلاف المكتوب، ومنطوق الكلام لفظه.³¹

المنطوق اصطلاحاً: هو ما دلّ عليه اللفظ في محلّ النطق فالدلالة قد تكون بالمنطوق،³² أو هو المعنى المستفاد من صريح اللفظ،³³ وقد تكون بالمفهوم؛ كأن يدلّ مفهوم آية على دلالة معينة، وهذا المفهوم قد ورد في آية أخرى ما يدلّ عليه، ومثال ذلك: قوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) {المطففين: 15}، وقد ورد عن السلف في تفسير هذه الآية أنها تدلّ على رؤية الله سبحانه وتعالى، وهذا المفهوم من الآية يدلّ عليه قوله تعالى: (وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) {القيامة: 23، 22}، وغيرها من أدلة الرؤية.³⁴

ومثال ذلك للإمامين أبي زهرة وطنطاوي عند تفسيريهما لقوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) {الإسراء: 23}.

أولاً: قول الإمام أبي زهرة -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: (وَقَضَىٰ) هنا بمعنى حكم، وحكم الله تعالى لا يحتاج إلى إبرام مبرم، ولا يتناول إليه نقض ناقض -سبحانه وتعالى-، (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) هنا باءٌ محذوفة، دلّ عليها دخولها بعد ذلك في قوله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) وهي معطوفة على (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) والمعنى حكم الله تعالى حكماً دائماً ثابتاً بأدلتها القاطعة، وآياته البيّنة بالألّا تعبدوا إلا إياه فلا يصح عبادة غيره، وهي إذا كان الخطاب للنبي (صلي الله عليه وسلم) فالحكم عامٌ خوطب به الناس أجمعون، وأسند الحكم إلى (رَبُّكَ)؛ لأنه الخالق المنشئ المرّبي الذي خلقه وربّه، وهو الذي أنزل الآيات، فذكر الربّ ليكون الحكم مشتقاً على أسبابه، وبعد أن حكم حكماً تُسجّل كل الآيات في الوجود بالألّا يعبد إلا الله عقبه بما يدخل في مضمونه، وهو الإحسان إلى الوالدين، ونجد دائماً النهي عن الإشراك يفتقرن به

²⁶ التفسير الوسيط: لطنطاوي: ج8، ص383، 384، مصدر سابق.

²⁷ انظر: القطعية من الأدلة الأربعة: محمد دمبي دكوري، ص372، ط1- 1420هـ، ن: عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية. الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: 393هـ)، ص2005، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4: 1407-1987م، ن: دار الملايين - بيروت. المعاني الجامع: الشبكة العنكبوتية: الرابط (almaany.com).

²⁸ الأحكام في أصول الأحكام: للامدي: ج2، ص328، مرجع سابق.

²⁹ الإيهام في شرح المنهاج: لعلي ابن عبد الكافي السبكي، وولده عبد الوهاب، ج3، ص27، تصحيح: جماعة من العلماء، ط1: 1404-1984م، بإشراف ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الإفتان في علوم القرآن: للسيوطي، ج4، ص106، مرجع سابق.

³⁰ القطعية من الأدلة الأربعة: لدكوري: ج5، ص2005، مرجع سابق.

³¹ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للفارابي: ج4، ص1559، مرجع سابق. الشبكة العنكبوتية: المعاني الجامع: الرابط (almaany.com).

³² نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، لعبد الرحيم الأسنوي، ص148، ضبط و تصحيح: عبد القادر محمد علي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1: 1420-1999م. الإفتان في علوم القرآن: للسيوطي، ج3، ص104، مرجع سابق.

³³ أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله: ص374 عياض بن نامي السلمي، ط1: 1426-2005م، ن: دار التدمرية- الرياض- المملكة العربية السعودية.

³⁴ انظر: فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار: ص41، مرجع سابق.

في هذا المثال بين الإمام أبو زهرة أنه يجب عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به، وذكر الآيات الدالة على ذلك وبعد ذلك أعقبه بما يدخل في مضمونه، وهو الإحسان إلى الوالدين، ونجد دائماً النهي عن الإشراك يقترب منه دائماً الإحسان إلى الوالدين، وعدم نهيهما والتضجر منهما لأن النهي فيه منافية لحسن الصحبة، وضرورة التلطف معهما والقول الجميل لهما في الفعل والقول، ويصح الاستعاضة في التنبيه بالإشارة عن العبارة، وألا يتكلم إلا بما يرضيهما. وهذا كله يفهم من منطوق الآية الكريمة وهو عبادة الله عزوجل وإقران الإحسان للوالدين بعبادته، والآية الكريمة تبين عدم التضجر فيهما فمن باب أولى عدم الشتم والضرب لهما ودلل على ذلك المفهوم استشهاده بحديث الرسول (صلي الله عليه وسلم) حسن الصحبة لهما، وأيضاً الإمام طنطاوي بين المقصود بالآية وهو الإحسان إلى الوالدين إحساناً كاملاً لا يشوبه سوء أو مكروه.

وترى الباحثة في هذا المثال أن الإمام أبا زهرة وطنطاوي اتفقا بالمقصود من تفسير الآية وتوضيح المفهوم منها بآيات في مواضع أخرى وبحديث النبي (صلي الله عليه وسلم) وإذا كان منطوق الآية بعدم التأفف والنهر لهما فإن المفهوم من الآية عدم الضرب والشتم لهما وعدم إيذائهما، وأيضاً المفهوم منها الإحسان لهما واحترامهما والقول اللين لهما في كل أحوالهما.

المطلب الخامس: بيان لفظة في آية بأية أخرى.

قد تأتي في القرآن الكريم لفظة فيها غرابية وتحتاج إلى تفسير، وقد فسرت في آية أخرى وردت فيها نفس القصة أو الحدث، أو لإتفاق معنى اللفظة في الآيتين على معنى لغوي واحد.³⁹

ومثال ذلك للإمامين أبي زهرة وطنطاوي عند تفسيريهما لقوله تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) {الرعد: 26}،

أولاً: قول الإمام أبي زهرة -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: التَّنْكِيرُ فِي (مَتَاعٌ) لِلتَّحْقِيرِ لَا لِلتَّكْبِيرِ، أَي الْإِمْتَاعِ نَزْرٌ قَلِيلٌ، لَا بَقَاءَ لَهُ، لِأَنَّهُ سُرْعَانٌ مَا يَزُولُ إِذْ هُوَ فِي الدُّنْيَا، وَالدُّنْيَا رَائِلَةٌ، وَيَقُولُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي ذَلِكَ: «وَحَفِي عَلَيْهِمْ أَنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا فِي جَنبِ نَعِيمِ الْآخِرَةِ لَيْسَ إِلَّا شَيْئاً نَزْراً يَتَمَتَّعُ بِهِ كَعَجَالَةِ الرَّكَّابِ، وَهُوَ مَا يَتَعَجَّلُهُ بِهِ مِنْ ثَمِيرَاتٍ، أَوْ شُرْبَةِ سُوْيُقٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ»⁴⁰

ولقد ذكر الله تعالى في آياتٍ أُخرى، مثل قوله تعالى: (فَلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلاً وَالْآخِرَةَ خَيْرَ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظَلَمُونَ فَتِيلاً) {النساء: 77}، وقوله تعالى: (بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرَ وَأَبْقَى) {الأعلى: 17، 15}.⁴¹

ثانياً: قول الإمام طنطاوي عند تفسيره لقوله تعالى: بَيَانٌ لِقَوْلِهِ نَعِيمَ الدُّنْيَا بِالنَّسْبَةِ لِنَعِيمِ الْآخِرَةِ. وَالمَتَاعُ: مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي دُنْيَاةٍ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ لِمُدَّةٍ مُحَدَّدَةٍ ثُمَّ يَنْقُضِي. أَي: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْفَرِحِينَ بِنَعِيمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَرَحٌ بَطْرٌ وَأَسْرٌ وَجُحُودٌ، لَنْ يَتَمَتَّعُوا بِهَا طَوِيلًا، لِأَنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَيْسَ إِلَّا شَيْئاً قَلِيلاً بِالنَّسْبَةِ لِنَعِيمِ الْآخِرَةِ. وَتَنكِيرُ (مَتَّعَ) لِلتَّقْلِيلِ، كَقَوْلِهِ -تعالى- فِي آيَةٍ أُخْرَى: (لَا يَعْرِتُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَّعَ قَلِيلاً ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) {آل عمران: 197، 196}. قَالَ الْأَلُوسِيُّ مَا مُلْحَصَهُ: قَوْلُهُ (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ) أَي: كَانَتْهُ فِي جَنبِ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، فَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَ(فِي) هَذِهِ مَعْنَاهَا الْمُقَابِسَةُ وَهِيَ كَثِيرَةٌ فِي الْكَلَامِ، كَمَا يُقَالُ: ذُنُوبُ الْعَبْدِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ -تعالى- كَقَطْرَةٍ فِي بَحْرٍ، وَهِيَ الدَّاخِلَةُ بَيْنَ مَفْضُولٍ سَابِقٍ، وَفَاضِلٍ لَاحِقٍ ... وَالمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (إِلَّا مَتَّعَ) أَي: إِلَّا شَيْئاً يَسِيرًا يَتَمَتَّعُ بِهِ كَزَادِ الرَّاعِي. وَالمَعْنَى: أَنَّهُمْ رَضُوا بِحَظِّ الدُّنْيَا مُعْرِضِينَ عَنِ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَالحَالُ أَنَّ مَا فَرِحُوا بِهِ فِي جَنبِ مَا أَعْرَضُوا عَنْهُ قَلِيلُ النِّفْعِ، سَرِيعُ النِّقَادِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ (صلي الله عليه وسلم) عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ؟ فَقَالَ (صلي الله عليه وسلم): مَا لِي وَالدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَكَابٍ اسْتَضَلَّ بِشَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا.^{42 43 44}

³⁹ (انظر التحرير في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص49. مرجع سابق.

⁴⁰ (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل: للزمخشري، ج2، ص528، مصدر سابق.

⁴¹ (زهرة التفاسير: لأبي زهرة: ج8، ص3943، مصدر سابق.

⁴² (سنن الترمذي: ج4، ص186، ك: (34)، ب: (44) الزهد عن رسول الله (ﷺ)، ح2377، مصدر سابق.

⁴³ (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي، ج13، ص131، مصدر سابق.

⁴⁴ (التفسير الوسيط: لطنطاوي: ج7، ص475، مصدر سابق.

في هذا المثال يُلاحظ أنَّ الإمامَ أبا زهرة قامَ ببيانِ لفظَةِ (مَتَّع) في هذه الآيةِ بآياتٍ في مواضعٍ أُخرى وأوضحَ أنَّ المتاعَ في هذه الدنيا قليلٌ لا يُذكرُ مُقارنَةً بمتاعِ الآخرةِ ونقلَ عن الرَّمخسريِّ بأنَّ شَبَهَهُ كَالرَّكِبِ الَّذِي يَسْتَعِجِلُ أَكْلَ التَّمِيرَاتِ أَوْ الشَّرْبَةَ.

وأما الإمامُ طنطاوي قامَ ببيانِ لفظَةِ (مَتَّع) في هذه الآيةِ بآياتٍ في مواضعٍ أُخرى واستشهدَ أيضاً بحديثِ رسولِ الله (صلي الله عليه وسلم) وأوضحَ أنَّ المتاعَ في هذه الدنيا قليلٌ لا يُذكرُ مُقارنَةً بمتاعِ الآخرةِ. وأنَّ هؤلاء الذينَ يفرحونَ بِنِعَمِ الله عليهم في الدنيا، ما هو إلا فرحٌ بطرٍّ وأسرٍّ وجحودٍ، ولن يتمتعوا بها طويلاً، ونقلَ عن الألويسي قوله: «بأنَّ نعيمَ الدنيا ليسَ إلا شيئاً قليلاً بالنسبةِ لنعيمِ الآخرةِ ولا يُقارَنُ به».

وترى الباحثة في هذا المثالِ [أنَّ الإمامين اتفقا ببيانِ لفظَةِ (مَتَّع) في هذه الآيةِ بآياتٍ في مواضعٍ أُخرى وأوضحا أنَّ المتاعَ في هذه الدنيا قليلٌ لا يُذكرُ مُقارنَةً بمتاعِ الآخرةِ، واستشهدا أيضاً بحديثِ رسولِ الله (صلي الله عليه وسلم). وترى الباحثة من خلال هذا المبحث لكلا المفسرين الإمامين أبي زهرة وطنطاوي في استخدامهما لهذا الأصل من أصول التفسير، وهو تفسير القرآن بالقرآن:

نجد أنهما قد اعتنيا به عناية كبيرة، واعتمدا عليه في منهجهما لأنه أحسن طرق التفسير وأصحها، وأنهما أكثرا من ذكرهما في مواضع متعددة حيث أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، وأنهما كانا يفسران الألفاظ القرآنية بنظائرها في آيات أُخرى، وكانا يوجهان معاني الآيات ويفسراها بما ورد في آيات أُخرى، فما أوضحته آية بالتمليح دلت عليه آية بالتصريح، ويقوي المعنى العام المشترك بين الآيتين، ويؤلف بين معاني القرآن بإبراز التوافق المعنوي بين الآيات القرآنية خلال السور حتى ولو كانت مختلفة في مواطن النزول.

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة.

السنة: هي ما أثيرَ عن النبي (صلي الله عليه وسلم) من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خلقيةٍ أو خلقية،⁴⁵ وهي المصدَّرُ الثاني من مصادير التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فهي مُبَيِّنَةٌ للقرآن ومُوضِّحَةٌ له كما في قوله تعالى: (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) {النحل:44}.⁴⁶

المطلب الأول: النص على تفسير آية أو لفظة.

التفسيرُ النبويُّ المُباشر: هو أن يَعْمَدَ النبي (صلي الله عليه وسلم) إلى آيةٍ يَذْكُرُها في كلامه، أو يُشيرُ إليها ويبيِّنُ معناها، أو يسألونهُ عمَّا يخفى عليه من القرآن فيبيِّنُه لهم.⁴⁷

ومثال ذلك: ما رُوِيَ عن عُقبة بن عامر أنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله (صلي الله عليه وسلم) وهو على المنبر يقول: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) {الأنفال:60}، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمِي.⁴⁸

ومثال ذلك للإمامين أبي زهرة وطنطاوي عند تفسيريهما لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * نُؤْتِي أُولَئِكَ مِنْهَا كُلَّ حَبٍّ مِنْهَا وَبِئْسَ لِلظَّالِمِينَ هَدًى * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) {إبراهيم:24-26}،

أولاً: قول الإمام أبي زهرة -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: (كَلِمَةً طَيِّبَةً) قيل: إنها كلمة التوحيد، وقيل: إنها الإيمان، والحق، إنها الكلمة التي تكونُ صادقةً في ذاتها ومُنْبَعِثَةً من النَّفْسِ لِإِرْضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، والدُّودِ عن محارمه وتتحقَّقُ فيها النِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ، والقَوْلُ الطَّيِّبُ، كما قال تعالى: (وَهُدًى إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدًى إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) {الحج:24}، ورُوِيَ من حديث أنس أن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: إِنَّ مَثَلَ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ ثَابِتَةٍ، الْإِيمَانُ فِرْعَوْنُهَا، وَالصَّلَاةُ أَصْلُهَا، وَالزَّكَاةُ فِرْعَوْنُهَا، وَالصِّيَامُ أَغْصَانُهَا، وَالتَّوَادُّعُ فِي اللَّهِ نَبَاتُهَا، وَحَسَنُ الْخُلُقِ وَرَفْعُهَا، وَالْكَفُّ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ثَمَرُهَا.⁴⁹ هذا مَثَلُ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، وَهِيَ كَلِمَةُ الْحَقِّ الْجَامِعَةِ لِكُلِّ مَعْنَى الْخَيْرِ وَالطَّيِّبِ، وَالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ، أَمَا الْكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي مَثَلِهَا.

⁴⁵ تيسير مصطلح الحديث: د. أحمد عمر هاشم، ص7، ط1: 1982م، ن: القاهرة - مصر.

⁴⁶ فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص43، مرجع سابق.

⁴⁷ انظر: موسوعة التفسير بالمأثور: إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ج1، ص135، المؤلفون: أ. د. مساعد ابن سليمان الطيار، د. نوح ابن يحيى الشهري، ط1: 1439-2017م، ن:

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي - دار بن حزم - بيروت.

⁴⁸ صحيح مسلم: ج3، ص152، ك: (33) الإمارة، ب: (52) فضل الرمي والحث عليه، ودم من علمه ثم نسيه، ج1917، مصدر سابق.

⁴⁹ التوضيح لشرح الجامع الصحيح: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، المعروف بـ ابن الملقن (723 - 804هـ)، ج14، ص73، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي والتراث بإشراف خالد الرباط، جمعة قحقي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، ك: (34) البيوع، ب: (7) مَنْ لَمْ يُبَالِ مِنْ حَيْثُ كَتَبَ الْمَالَ، ط1: 1429-2008م، ن: دار النوادر، دمشق - سوريا.

الكلمة الخبيثة هي الكلمة التي تتبعث من حُبث النَّفس، وضلال الفكر، وتكون في باعِثها أئمة، وفي غايِتها أئمة، فهي على نقيض الكلمة الطيبة، لأنها لا تتبعث من إخلاص لله ولرسوله (صلي الله عليه وسلم)، ولا تكون طيبة في واقعها، ولا في نتائجها، وما يترتب عليها، وأوضحها الكذب،⁵⁰ وقد قال النبي (صلي الله عليه وسلم): عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البرِّ والبرُّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً.^{51 52}

ثانياً: قول طنطاوي عند تفسيره لقوله تعالى: (كَلِمَةً طَيِّبَةً)، والمراد بالكلمة الطيبة: كلمة الإسلام، وما يترتب عليها من عمل صالح، وقول طيب. قال الألوسي ما ملخصه: الشجرة الطيبة -المُشَبَّه بها- النخلة عند الأكثرين وروى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن زيد. وأخرج عبد الرزاق والترمذي وغيرهما عن شعيب بن الحجاب قال: كنا عند أنس، فأتينا بطبقٍ عليه رطب، فقال أنس لأبي العالية: كل يا أبا العالية، فإن هذا من الشجرة التي ذكرها الله -تعالى- في كتابه (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ...). وأخرج الترمذي -أيضاً- والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه عن أنس قال: أتى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بقناع من بسر -أي يطبق من تمر لم ينضج بعد- فقال: مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة، قال: هي النخلة.⁵³ وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنها شجرة جوز الهند.⁵⁴ وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم أنها شجرة في الجنة، وقيل كل شجرة مثمرة كالنخلة،⁵⁵ وكشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك.^{56 57}

وبعد أن بين -سبحانه- مثال كلمة الإيمان، أتبعه بمثال كلمة الكفر فقال: (مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) وهي كلمة الكفر. (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) أي قبيحة لا تفع فيها، ولا خير يرجى منها... والمراد بهذه الشجرة الخبيثة: شجرة الحنظل فعن أنس بن مالك أن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ. هي الحنظلة،⁵⁸ وقيل: شجرة النوم، وقيل: شجرة الشوك، وقيل كل شجر لا يطيب له ثمر، وفي رواية عن ابن عباس أنها شجرة لم تخلق على الأرض، وقال ابن عطية: الظاهر أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة جامعة لتلك الأوصاف التي وصفها الله بها.⁵⁹

يلاحظ في هذا المثال أن الإمام أبو زهرة -رحمه الله- بين معنى (كَلِمَةً طَيِّبَةً) و (كَلِمَةً خَبِيثَةً) وهي اللفظة التي تحتاج إلى وضوح من خلال الحديث الشريف، وبين عواقبها ونتائجها على الشخص وعلى الناس جميعاً وقال بأن الكلمة الطيبة هي كلمة (التوحيد) وقيل: إنها الإيمان، والحق، إنها الكلمة التي تكون صادقة في ذاتها ومُنْبَعِثَةٌ من النفس لإرضاء الله تعالى، والدود عن محارمه وتتحقق فيها النية الطيبة، والقول الطيب والكلمة الخبيثة (نقيضها)، وقال بأنها الكذب. وأما الإمام طنطاوي -رحمه الله- أيضاً بين معنى (كَلِمَةً طَيِّبَةً) و (كَلِمَةً خَبِيثَةً) وهي اللفظة التي تحتاج إلى وضوح من خلال الحديث الشريف، وقال بأن الكلمة الطيبة هي كلمة (الإسلام) وقال أيضاً هي (النخلة) وأوضح رأي الإمام الألوسي والطبري بأنها (النخلة) ورجَّح لتصريح الأثر الواردة فيه وأما الكلمة الخبيثة هي (الكفر) أو (الحنظل).

وترى الباحثة في هذا المثال أن الإمامين اتفقا على تفسير الآية بالسنة وبيان المقصود من الكلمة الطيبة رغم اختلاف اللفظة بينهما فقال أبو زهرة: إنها كلمة التوحيد، وقيل: إنها الإيمان، وأما طنطاوي فقال: أنها الإسلام، وأرى أن كلمة الإسلام مُتَضَمِّنَةٌ معنى التوحيد والإيمان، واختلف الإمام أبو زهرة عن طنطاوي في بيان معنى اللفظتين حيث نقل طنطاوي أقوالاً عن بعض المفسرين بأن الكلمة الطيبة هي النخلة، وأن الكلمة الخبيثة هي شجرة الحنظل، وذكر أيضاً

⁵⁰ زهرة التفاسير: لأبي زهرة: ج8، ص4021، مصدر سابق.

⁵¹ صحيح البخاري: ج5، ص2261، ك: (81) الأدب، ب: (69) قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (التوبة: 119)، وما يُنْهَى عن الكذب، ح5743، مصدر سابق. صحيح مسلم: ج4، ص2012، ك: (45) البر والصلة والآداب، ب: (29) باب فيج الكذب وحسن الصدق وفضله، ح2607، مصدر سابق.

⁵² زهرة التفاسير: لأبي زهرة: ج8، ص4021، المصدر السابق.

⁵³ سنن الترمذي: ج5، ص295، ب: (44) أبواب تفسير القرآن عن رسول الله (باب: ومن سورة إبراهيم (١))، ح3119، مصدر سابق. السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: 303هـ)، ج10، ص138، ح11198، حقه وخروج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، (بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة)، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: 1421-2001م، ن: مؤسسة الرسالة - بيروت.

⁵⁴ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773-825هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج8، ص378، (قوله بَابُ يُثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) ح4698، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.

⁵⁵ جامع البيان عن تأويل أي القرآن: لابن جرير الطبري، ج16، ص444، ص572، مصدر سابق. تفسير القرآن العظيم -تفسير ابن أبي حاتم: لابن أبي حاتم الرازي، ج7، ص2244، 44 أبواب تفسير القرآن عن رسول الله (١) ح12260، مصدر سابق.

⁵⁶ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي، ج13، ص191، مصدر سابق.

⁵⁷ التفسير الوسيط: لطنطاوي: ج7، ص550، مصدر سابق.

⁵⁸ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ج4، ص422، مصدر سابق.

⁵⁹ التفسير الوسيط: لطنطاوي: ج7، ص552، مصدر سابق.

أقوالاً أخرى لها فقيل: شجرة الثوم، وقيل: شجرة الشوك، وقيل كل شجر لا يطيب له ثمر، وأما أبو زهرة فقال الكلمة الخبيثة هي الكذب أو نقيض كلمة التوحيد.

المطلب الثاني: تفسير النبي (صلي الله عليه وسلم) لما أشكل على الصحابة من فهم آية.

وقَعَ الإشكال في التفسير كان منذ عهد الصحابة إبان وجودهم في حياة النبي (صلي الله عليه وسلم)، وهذا النوع من المشكل يدخل في المتشابه التسيبي؛ لأن النبي (صلي الله عليه وسلم) بيّن لهم المعنى المراد، وليس من المتشابه الكلي الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، لذلك حرص الصحابة على معرفة وفهم معاني القرآن الكريم وذلك بسؤالهم للنبي (صلي الله عليه وسلم) وسؤالات من بعدهم لهم عنه، ومنه ما روي عن عبد الله ابن مسعود قال: لَمَّا نَزَلَتْ (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) {الأنعام: 82}، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟، قَالَ: (لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لَقْمَانَ لَابِنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: {يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} {لقمان: 13}.⁶⁰ وهكذا بيّن لهم النبي (صلي الله عليه وسلم) معناها؛ إنما هو الشرك، وهذا ممّا شَقَّ عَلَيْهِمْ فِي مَعْرِفَتِهِ عِنْدَمَا كَانُوا يَتَدَارَسُونَ الْقُرْآنَ فِي مَا بَيْنَهُمْ.⁶¹

ومثال ذلك: للإمامين أبي زهرة وطنطاوي عند تفسيريهما لقوله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ) {الإسراء: 101}

أولاً: قول الإمام أبي زهرة -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ)، (الواو) واصلة الكلام بما قبله، وهي عاطفة جملة على جملة، و (ءَاتَيْنَا) معناها أعطيناها حُجَّةً ودليلاً (تِسْعَ ءَايَاتٍ)، أي معجزات بَيِّنَاتٍ في دلالتها على رسالة موسى إلى فرعون وبني إسرائيل، وتلك الآيات التسع كما ذكرها ابن عباس إجمالاً فيما روي عنه: هي العصا التي لَقَفَتْ ما ألقاه السحرة إذ أمره بأن يُلقِي السحرة حبالهم وعصيهم، (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) {الشعراء: 45}، واليد إذ قال الله تعالى: (وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءِ ءَايَةٍ أُخْرَى) {طه: 22}، كما قال تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) {الأعراف: 133}. والآية الثامنة أنه سبحانه وتعالى أخذهم بالجذب والسنين الشديدة، التي يَؤُلُّ الخير والتمر، ولذا قال تعالى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) {الأعراف: 130}. والآية التاسعة، فلق البحر، وفتح الطريق لبني إسرائيل، وكان عليهم أن يعتبروا بهذه الآيات، ولكنهم اغتروا فاتخذوا الشق سبيلاً لِيَتَّبِعُوا بني إسرائيل، فاتبعوهم فكانوا من المُغْرَقِينَ. هذه آيات، واجه موسى بها فرعون، (فَسَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ)، أي إذ واجه بها موسى فرعون (فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يُمُوسَى مَسْحُورًا)، أي أنه بدل أن يدعن بها ويؤمن بالحق إذ جاءت بَيِّنَاتٍ، كابر واستمر في غيّه، وضلاله القديم وما أجدت تلك الآيات الحسيّة شيئاً.⁶²

ثانياً: قول الإمام طنطاوي عند تفسيره لقوله تعالى: «(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ)، والمراد بالآيات التسع في قوله -تعالى-: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ) العصا، واليد، والسنون، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع والدم. قال ذلك ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم. وقد جاء الحديث عن هذه الآيات في مواضع أخرى من القرآن الكريم، منها قوله -تعالى-: (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ) {الأعراف: 107، 108}. وقوله -تعالى-: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) {الأعراف: 130}. وقوله -سبحانه-: (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ) {الشعراء: 63}. وقوله سبحانه وتعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) {الأعراف: 133}، والمعنى: لا تظن -أيها الرسول الكريم- أن إيمان هؤلاء المشركين من قومك، متوقف على إجابة ما طلبوه منك. وما اقترحوه عليك من أن تفجر لهم من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ... إلخ. لا تظن ذلك: فإن الخوارق مهما عظمت لا تنشئ الإيمان في القلوب الجادة الحاقدة، بدليل أننا قد أعطينا أخاك موسى تسع معجزات، ووضحات الدلالة على صدقه في نبوته، ولكن هذه المعجزات لم ترد المعاندين من قومه إلا كُفراً على كفرهم ورجساً على رجسهم. فاصبر -أيها الرسول- على تعنت قومك وأذاهم، كما

⁶⁰ صحيح البخاري: ج3، ص1262، ك (64) الأنبياء، ب: (42) قول الله تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) (لقمان: 12)، ح3246، مصدر سابق.

⁶¹ التفسير والمفسرون: للذهبي، ج1، ص37، مرجع سابق. مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير: لمساعد الطيار، ص176، 177، مرجع سابق.

⁶² زهرة التفاسير: لأبي زهرة، ج8، ص4468، مصدر سابق.

صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ قَبْلَكَ. وَتَحْدِيدُ الْآيَاتِ بِالتَّسْعِ، لَا يَنْفِي أَنَّ هُنَاكَ مُعْجَزَاتٍ أُخْرَى أَعْطَاهَا اللَّهُ -تَعَالَى- لِمُوسَى إِذْ مِنَ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْأَصُولِ، أَنَّ تَحْدِيدَ الْعَدَدِ بِالذِّكْرِ، لَا يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الزَّائِدِ عَنْهُ. قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ: «وَهَذَا الْقَوْلُ -الْمَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ- ظَاهِرٌ جَلِيٌّ حَسَنٌ قَوِيٌّ ... فَهَذِهِ الْآيَاتُ التَّسْعُ، الَّتِي ذَكَرَهَا هُوَ لِأَيِّمَةِ، هِيَ الْمُرَادَةُ هُنَا ... وَقَدْ أُوتِيَ مُوسَى آيَاتٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ مِنْهَا: ضَرْبُهُ الْحَجَرَ بِالْعَصَا، وَخُرُوجُ الْمَاءِ مِنْهُ ... وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا أُوتُوهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ، وَلَكِنْ ذَكَرْنَا هُنَا هَذِهِ الْآيَاتُ التَّسْعُ الَّتِي شَاهَدَهَا فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَكَانَتْ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فَخَالَفُوهَا وَعَانَدُوهَا كُفْرًا وَجُحُودًا. ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرٍو بْنِ مَرْة، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلْمَةَ يُحَدِّثُ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَالٍ الْمُرَادِيِّ قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ حَتَّى نَسْأَلَهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ...) فَسَأَلَاهُ: فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِفُوا وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَسْخَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَمْشُوا بِبِرْيَةٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَقْدِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تَقْرُوا مِنَ الرَّحْفِ فَفَقَبَلَا يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ.⁶³ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا هَذَا الْحَدِيثُ فَهُوَ حَدِيثٌ مُشْكِلٌ. وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلْمَةَ فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ، وَتَكَلَّمُوا فِيهِ، وَلَعَلَّهُ اسْتَنْبَهَ عَلَيْهِ التَّسْعَ الْآيَاتِ، بِالْعَشْرِ الْكَلِمَاتِ، فَإِنَّهَا وَصَايَا فِي التَّوْرَةِ، لَا تَعْلُقُ لَهَا بِقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَى فِرْعَوْنَ.⁶⁴ وَالْحَقُّ أَنَّ مَارِجَّةَ الْإِمَامِ ابْنِ كَثِيرٍ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَاتِ التَّسْعِ هُنَا: مَا آتَاهُ اللَّهُ -تَعَالَى- لِنَبِيِّهِ مُوسَى مِنَ الْعَصَا، وَالْيَدِ، هُوَ الَّذِي تَسْكُنُ إِلَيْهِ النَّفْسُ، لِأَنَّ قَوْلَهُ -تَعَالَى- بَعْدَ ذَلِكَ (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ) {الإسراء: 102}. يُؤَيِّدُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْعَصَا، وَالْيَدِ، وَالسِّنِينَ ... وَلِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي فِيهَا الْحَجَجُ، وَالْبَرَاهِينُ وَالْمُعْجَزَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِ مُوسَى. أَمَّا تِلْكَ الْوَصَايَا الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ فَلَا عِلَاقَةَ لَهَا بِقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَى فِرْعَوْنَ.⁶⁵ فِي هَذَا الْمَثَلِ تَرَى الْبَاحِثَةَ: أَنَّ الْإِمَامِينَ أَبِي زَهْرَةَ وَطَنْطَاوِيَّ قَدْ اتَّفَقَا عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ (تِسْعَ آيَاتٍ) عِنْدَمَا فَسَّرَاهَا بِأَنَّهَا التَّسْعُ مُعْجَزَاتٍ، وَهِيَ الْعَصَا وَالْيَدُ وَالسُّنُونُ وَالْبَحْرُ وَالطُّوْقَانُ وَالْجِرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِغُ وَالْدَمُ، وَقَدْ اسْتَشْهَدَا عَلَى ذَلِكَ بَيِّنَاتٍ قُرْآنِيَّةً أُخْرَى تُدَلِّلُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ نَقَلَا هَذَا التَّفْسِيرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلَكِنَّ الْإِمَامَ طَنْطَاوِيَّ زَادَ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي زَهْرَةَ مَعْنَى آخَرَ فِي بَيَانِ الْمَعْنَى حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلْمَةَ أَنَّهُمْ سَأَلُوا النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنِ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: (لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِفُوا وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَسْخَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَمْشُوا بِبِرْيَةٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَقْدِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تَقْرُوا مِنَ الرَّحْفِ) وَأَوْضَحَ ابْنُ كَثِيرٍ أَنَّ هَذَا حَدِيثٌ مُشْكِلٌ وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلْمَةَ فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ وَلَعَلَّهُ اسْتَنْبَهَ عَلَيْهِ التَّسْعَ الْآيَاتِ بِالْعَشْرِ كَلِمَاتٍ، وَقَدْ رَجَّحَ الْإِمَامُ طَنْطَاوِيَّ قَوْلَ ابْنِ كَثِيرٍ أَنَّهَا الْعَصَا وَالْيَدِ.

المطلب الثالث: ورود ما يصلح أن يكون تفسيراً لآية من كلامه (صلي الله عليه وسلم).

التفسير غير المباشر بالسنة: هو أن يذكر النبي (صلي الله عليه وسلم) ما يمكن أن يعتمد عليه في تفسير الآية، أو أن يعمل عملاً يفهم به الخطاب القرآني يمكن أن يكون تطبيقاً للآية؛ أو أن يعتمد المفسر باجتهاده إلى كلام النبي (صلي الله عليه وسلم) ليس فيه ذكر آية؛ فيجعله تفسيراً لها، ومن أمثلة ذلك:

(وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) {الفجر: 23}. عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم): يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا.⁶⁶ روى البخاري في صحيحه⁶⁷ عن عائشة قالت: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ.⁶⁸ قَالَ ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ: يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ أَي: يُفَعِّلُ مَا أُمِرَ بِهِ فِيهِ؛ وَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ رِوَايَةِ الْأَعْمَشِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقُرْآنِ بَعْضُهُ وَهُوَ السُّورَةُ الْمَذْكُورَةُ.⁶⁹

⁶³ سنن الترمذي: ج5، ص157، ك: (44) تفسير القرآن، ب: (18) وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ح3144، مصدر سابق. مسند أحمد: أول مسند الكوفيين، ج30، ص13، حديث صفوان بن عسال المرادي، ح18089، مصدر سابق.
⁶⁴ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ج5، ص114، مصدر سابق.
⁶⁵ التفسير الوسيط: لطنطاوي: ج8، ص442-443، مصدر سابق.
⁶⁶ سنن الترمذي: ج4، ص282، ك: (37) - أَبْوَابُ صِفَةِ جَهَنَّمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاب: مَا جَاءَ فِي صِفَةِ النَّارِ، ح2573، مصدر سابق.
⁶⁷ صحيح البخاري: ج1، ص281، ك: (16) صفة الصلاة، ب: (55) التسيب والدعاء في السجود، ح784، مصدر سابق.
⁶⁸ انظر: موسوعة التفسير المأثور: مركز الدراسات والعلوم القرآنية: ج1، ص137. فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص45، مرجع سابق.
⁶⁹ فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج2، ص299، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، قرأ أصله تصحيحاً وتحققاً: عبد العزيز بن عبدالله بن باز، ن: دار المعرفة: بيروت - لبنان - 1379هـ.

ومثال ذلك للإمامين أبي زهرة وطنطاوي عند تفسيريهما لقوله تعالى: (سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عُقْبَى الدَّارِ) {الرع:24}،

أولاً: قول الإمام أبي زهرة -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلِّمْ) {الأحزاب:44}، وهذا يتضمن معنى الإيناس بإقراء السلام، فأقراء السلام في ذاته إيناس، وفيه مع ذلك بث الاطمئنان وطيب الإقامة، وذلك بسبب الصبر، أي بسبب صبركم في الجهاد، وصبركم على الطاعات وتجنب الشهوات، وصبركم على تحمّل المكار، وصبركم على البعد عن الأحبة، وقد روى عبد الله بن عمر، أن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال: هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: المجاهدون الذين تُسَدُّ بهم الثغور، وثقّى بهم النار، فيموت أحدكم وحاجته في نفسه لا يستطيع لها قضاء، فتأتيهم الملائكة فيدخلون عليهم من كل باب سلامً عليكم بما صبرتم فبِعَمِّ عُقْبَى. ولقد روي أن النبي (صلي الله عليه وسلم) كان يأتي على قبور الشهداء كلَّ حَوْلٍ فيقول: السلام عليكم بما صبرتم فبِعَمِّ عُقْبَى الدار. ⁷⁰ وكان أبو بكر وعمر وعثمان يفعلون ذلك. ⁷¹

ثانياً: قول الإمام طنطاوي عند تفسيره لقوله تعالى: وقوله -سبحانه- (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلِّمْ عَلَيْكُمْ) زيادة في تكريمهم، وحكاية لما تحييتهم به الملائكة، أي: والملائكة يدخلون على هؤلاء الأوفياء الصابرين ... من كل باب من أبواب منازلهم في الجنة، قائلين لهم: (سَلِّمْ عَلَيْكُمْ)، أي: أماناً دائمً عليكم (بِمَا صَبَرْتُمْ) أي: بسبب صبركم على كل ما يرضي الله -تعالى-. (فَبِعَمِّ عُقْبَى الدَّارِ) أي: فبِعَمِّ العاقبة عاقبة دنياكم، والمخصوص بالمدح محذوف لدلالة المقام عليه، أي: الجنة. وفي قوله -سبحانه- (يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) إشارة إلى كثرة فُدُوم الملائكة عليهم، وإلى كثرة أبواب بيوتهم، تكريماً وتشريفاً وتأييماً لهم. وجُمْلَةُ (سَلِّمْ عَلَيْكُمْ) مَقُولٌ لِقَوْلٍ مَحذُوفٍ، وهو حالٌ من فاعلٍ يَدْخُلُونَ وهم الملائكة. وهي إشارة لهم بدوام السلامة. وفي قوله (بِمَا صَبَرْتُمْ) إشارة إلى أن صبرهم على مشاق التكليف، وعلى الأذى، وعلى كل ما يُحَمَدُ فيه الصبر، كان على رأس الأسباب التي أوصلتهم إلى تلك المنازل العالية. هذا ومن الأحاديث التي ذكرها الإمام ابن كثير هنا، ما رواه الإمام أحمد -بسند- عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أنه قال: هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون، الذين تُسَدُّ بهم الثغور، وثقّى بهم المكار، ويموت أحدكم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله لمن يشاء من ملائكته: انثوهم فحيوهم. فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتكم من خلقك، أفنامرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم، قال: إنهم كانوا عباداً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، وتُسَدُّ بهم الثغور. وثقّى بهم المكار، ويموت أحدكم وحاجته في صدره، فلا يستطيع لها قضاء. قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب (سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ). ^{72 73}

في هذا المثال ترى الباحثة أن الإمامين اتفقا على بيان المقصود من تفسير الآية، وهو ما ورد من قوله (صلي الله عليه وسلم) فهذا الحديث يصلح ليكون تفسيراً لهذه الآية، وبيّن أن إقراء السلام في ذاته إيناس، وطمانينة وطيب إقامة، ودخول الملائكة (عليهم من كل باب) هذا يشير إلى كثرة فُدُوم الملائكة عليهم، وإلى كثرة أبواب بيوتهم، وهذا من باب التكريم والتشريف.

وذلك بسبب الصبر الذي صبروه بالدنيا على الجهاد، على الطاعات وتجنب الشهوات، وتحمل المكار، وعلى البعد عن الأحبة.

ترى الباحثة في نهاية هذا المبحث أن الإمامين أبا زهرة وطنطاوي قد اعتنيا عنايةً كبيرةً بهذا الأصل من أصول التفسير وهو تفسير القرآن بالسنة النبوية المُشَرَّفَة، واعتمدا عليه فترى أن الإمام أبا زهرة كان مُرَوِّدًا بزايد تربي من السنة النبوية، وكان يُوظفها في تفسيره في بيان معاني الآيات، وكان مُكثراً من النقل من كُتُب الصَّحاح، والسُّنن، وكذلك الإمام طنطاوي فقد اعتمد عليها كأصلٍ مُهمٍّ بالاستشهاد على تفسير الآيات، ونقل من كُتُب الصَّحاح كالبخاري ومسلم، والسُّنن كالترمذي وأبي داود وابن ماجه، والمسائيد كمُسند أحمد ابن حنبل.

⁷⁰ (شرح صحيح البخاري: ابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ن: ج3، ص270، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2: 1423-2003م.

⁷¹ زهرة التفاسير: لأبي زهرة: ج8، ص3938، مصدر سابق.

⁷² مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: 807هـ)، المحقق: حسام الدين القنسي، ج10، ص259، ك: (41) الزهد، ب: فضل الفقراء، ح17885، مكتبة القنسي، القاهرة، (دطرت)، (ت:ن): 1414هـ، 1994م.

⁷³ (التفسير الوسيط: لطنطاوي. ج7، ص437، مصدر سابق.

المبحث الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

المطلب الأول: أسباب الرجوع إلى تفسير الصحابة.

الصحابة لغة: من صَحِبَ يَصْحُبُ فهو صَاحِبٌ، والجمع أصحاب، وصحاب، وصحابة، ولها في اللغة العربية معانٍ متعددة تدور كلها على الملازمة والانقياد، ولهذا تقول هذا صاحب لي، أي ملأزم وينقاد لي، إذا كان صاحباً صادقاً، فإذا قلت له: سنذهب إلى أي مكان كذا لا يردك أبداً، أي بينك وبينه علاقة محبة ومودة تُوجب الملازمة والانقياد. 74

الصحابة اصطلاحاً عند المُحدِّثين: قال البخاري -رحمه الله- كما في صحيحه: هو من صحب النبي (صلي الله عليه وسلم) أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه. 75

والصحابي: هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على الإسلام 76

للصحبة منزلتها العظيمة في الإسلام ولها شرح عظيم، لا يخفى على مسلم إذ يكفي فيها أنها لقيا رسول الله (صلي الله عليه وسلم). لذلك أصبح لأصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مكانة خاصة في ميزان المسلمين بعده، بل صارت أقوالهم حجة عند بعض العلماء لا يعدلوا عن أقوالهم ولا يُرى قولاً غير قولهم، وقد ذكر العلماء أسباباً لرجوع المُفسِّر إلى أقوالهم وهي:

- أنهم شهدوا التنزيل وعرفوا أحواله وأسبابه، وكانت مشاهدتهم التنزيل؛ ومعرفة أحواله أكبر الأثر في علوم تفسيرهم وصحته؛ إذ الشاهد يدرك من الفهم ما لا يدركه الغائب. 77
 - كانوا أعلم الناس بكتاب الله تعالى. 78
 - أنهم أهل اللسان الذي نزل فيه القرآن، وأهل الفطرة السليمة الصافية. 79
 - أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن من العرب واليهود، إن معرفة هذه الأحوال تُفيد بدرائتهم بقصة الآية؛ فهو أشبه بسبب النزول، فلو فقدت هذه المعرفة لوقع الخطأ في فهم المراد بالآية. 80
 - سلامة مقصدهم. لم يقع من الصحابة خلاف يؤثر في علمهم، بحيث يوجه آراءهم العلمية إلى ما يعتقدونه، وإن كان مخالفاً للحق، بل كان الخلاف بينهم إظهار الحق، لا الانتصار للنفس أو المذهب الذي ذهب إليه، ولهذا جاء تفسيرهم بعيداً عن إشكالات التأويل وصراف اللفظ القرآني إلى ما يناسب المذهب، أو غيرها من الانحرافات. 81
 - حسن فهمهم. 82 فقد آتاهم الله من حسن البيان عن معاني القرآن، من غير تكلف في، ولا تعمق في تجنيس الكلام، بل يُلغون الألفاظ بدهاءة على المعنى، فتصيب المراد. 83
 - العلم الصحيح، والفهم التام، والعمل الصالح، والإخلاص فيه. ولا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة، الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، مثل عبد الله بن مسعود، قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: «حدثنا أبو كريب، قال أنبأنا جابر بن نوح، أنبأنا الأعمش عن مسروق؛ قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: «والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تتأولهُ الخطايا لأتيتهُ. 84
- كل هذه الأسباب ينبغي لدارس التفسير أن يرجع إليها، ويعتمدها ويبنى عليها في تفسيره للآيات.

المطلب الثاني: مصادر الصحابة في التفسير.

كان الصحابة يرجعون في تفسيرهم للقرآن الكريم إلى مصادر يستفيدون منها حال تفسيرهم للقرآن، وهي: القرآن الكريم، السنة النبوية، اللغة العربية، وأهل الكتاب، والفهم والاجتهاد.

74 (لسان العرب: لابن منظور: ج8، ص201، حرف (ص)، مادة (صحب)، مرجع سابق. الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني ج1، ص7، مرجع سابق. شرح القصيدة اللامية ابن تيمية، عبد الرحيم بن صايل العلياني السلمي، ج1، ص5. دروس صوتية قام بتقريغها موقع الشبكة الإسلامية، الدرس 19، (islamweb.net). الشبكة العنكبوتية: المعاني الجامع: الرابط: (almany.com).

75 صحيح البخاري: ج1، ص1335، ك: (66) فضائل الصحابة، ب: (1) فضائل أصحاب النبي (ﷺ) و(())، مصدر سابق.

76 الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، ج1، ص158، مرجع سابق.

77 مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير: لمساعد الطيار، ص159، مرجع سابق. التحرير والتنوير في أصول التفسير: لابن عاشور، ص87، مرجع سابق.

78 دراسات في أصول تفسير القرآن: لمحسن عبد الحميد، ص133، مرجع سابق.

79 الموافقات: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ج4، ص154، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط: 1417هـ - 1997م، ن: دار ابن عفا.

80 فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص46، مرجع سابق.

81 مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير: لمساعد الطيار، ص153، مرجع سابق.

82 المرجع نفسه: ص156، 157.

83 مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير: لمساعد الطيار، ص155، المرجع السابق. التحرير في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص90، مرجع سابق.

84 مسند أحمد: ج3، ص345، ح 3033، مصدر سابق.

وكأنوا في كلِّ هذه المصادر أدقُّ من غيرهم في الاستفادة. ⁸⁵ لقول النبيِّ (صلي الله عليه وسلم) لمعاد بن جبل حين بعثه إلى اليمن: بِمَ تَحْكُمُ؟، قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟، قال: بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأيي، قال: فضرب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى رسول الله. ⁸⁶

87

أولاً: القرآن الكريم: فسّر النبيُّ (صلي الله عليه وسلم) القرآن بالقرآن وقد سلكت ثلاثون من الصحابة هذا المنهج ففسّروا به وكان اجتهاداً. ومن أمثلة ذلك تفسير قوله تعالى: (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) الطور: 5، قال خالد بن عرعر: سمعت علياً يقول: السقف المرفوع هو السماء، وقال: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ) {الأنبياء: 32}. ⁸⁸

ثانياً: السنة النبوية:

استفاد الصحابة من السنة النبوية في تفسيرهم القرآن، وهم في بعض الأحيان يروون ما وصلهم أو سمعوه من تفسير النبيِّ (صلي الله عليه وسلم)، وفي أحيان أخرى يذكرونه ثون إسناده إلى النبيِّ (صلي الله عليه وسلم)، وهذا يدلُّ اعتمادهم السنة النبوية وإن لم ينصوا على رفعه. ومن أمثلة ذلك عند تفسير ابن عباس لقوله تعالى: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) {ق: 30}، قال فيه: «موضع قدمه فقالت حين وضع قدمه فيها: قد، قد، ... إلخ. ⁸⁹ فابن عباس فسّر هذه الآية بما جاء عن النبيِّ (صلي الله عليه وسلم) ولم يسنده إليه مباشرة. ⁹⁰ وهذا يأتي غالباً فيما لا مجال للعقل فيه.

ثالثاً: اللغة العربية:

نزل القرآن بلغة العرب، هي لغة الصحابة، ولذا قد نجدهم قد فهموا الخطاب الإلهي، لأنه نزل بلغتهم وقد فسّروا القرآن بلغتهم، وشاهد ذلك كثيرة لا تحصر، ومن ذلك تفسير ابن عباس لقوله تعالى: (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَخَفَّتْ) {الإنشاق: 2}، قال: سمعت لربها.

رابعاً: أهل الكتاب:

رجع الصحابة إلى مرويات أهل الكتاب ورووها في التفسير ولا يلزم من ذكرهم لهذه الروايات قبولها لهم لأنها لم تكن لها أهمية في التفسير مثل المصادر الثلاثة السابقة، لأن التوراة والإنجيل وقع فيها الكثير من التحريف والتبديل. لذلك كانوا يأخذون من أهل الكتاب ما يتفق مع عقيدتهم ولا يتعارض مع القرآن. وأما ما تعارض كانوا يرفضونه ولا يصدقوه، وما سكت عنه القرآن كانوا يسكتون عنه لا بصدق ولا كذب امتثالاً لقوله (صلي الله عليه وسلم): لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: (ءامناً بالله وما أنزل إلينا). ^{91 92}

خامساً: الفهم والاجتهاد:

أعمل الصحابة عقولهم في فهم القرآن، واستنبطوا منه، وكانوا فيه على تفاوت، فمنهم الكثير ومنهم دون ذلك، وكان اجتهادهم مبنياً على علم، ولم يكونوا يقولون في القرآن بأرائهم بغير علم، ولذا حلوا ما استشكل على غيرهم فهمه، وأوضحوا لهم هذا المشكل، ومن أمثلة ذلك ما رواه الإمام البخاري من الأسئلة المشككة التي طرحت على ابن عباس ومنها: قوله تعالى: (ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بنها * رفع سمكها فسولها * وأعطش ليلها وأخرج ضحلها * والأرض بعد ذلك دحلاً)، ⁹³ فذكر خلقه السماء قبل الأرض، وفي قوله: (قُلْ أُنْتُكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رُؤسِي من فوقها وبرك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْها قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) {فصلت: 9-11}، فذكر خلق الأرض قبل السماء في هذه الآية. فأجاب ابن عباس عن ذلك فقال: «خلق الأرض في يومين، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال

⁸⁵ (فصول في أصول التفسير : لمساعد الطيار، ص46، ح47 مرجع سابق.

⁸⁶ مسند أحمد: تنمة مسند الأنصار، ج36، ص417، ح22101، مصدر سابق.

⁸⁷ مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية، ص40، مرجع سابق.

⁸⁸ (جامع البيان في تأويل أي القرآن : لابن جرير الطبري : ج24، ص141، مصدر سابق.

⁸⁹ (جامع البيان في تأويل أي القرآن : لابن جرير الطبري : ج21، ص444، مصدر سابق.

⁹⁰ (فصول في أصول التفسير : لمساعد الطيار، ص47، مرجع سابق.

⁹¹ (صحيح البخاري: ج4، ص20، ك: (65) تفسير القرآن، باب: قولوا أمناً بالله وما أنزل إلينا [البقرة: 136]، ح4485، مصدر سابق.

⁹² (انظر التفسير والمفسرون: للذهبي، ج1، ص48، مرجع سابق.

⁹³ (سورة النازعات: آية (27-30).

والأكام وما بينه في يومين آخرين، فذلك قوله (دَحَلَهَا)، وقوله: (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) فَجَعَلَ الْأَرْضَ وما فيها من شيء في أربعة أيام، وَخُلِقَتِ السَّمَاءُ فِي يَوْمَيْنِ.⁹⁴ وهذا يُدَلِّلُ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ أَعْمَلُوا عَقُولَهُمْ وَفَسَّرُوا بآرَائِهِمْ.

المطلب الثالث: حكم تفسير الصحابي.

ذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ قَوْلَ الصَّحَابِيِّ فِي التَّفْسِيرِ لَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ، وَلَكِنْ هَذَا الْقَوْلُ لَا يُقْبَلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالصَّوَابُ أَنَّ تَفْسِيرَ الصَّحَابِيِّ لَهُ أَقْسَامٌ، وَكُلُّ قِسْمٍ لَهُ حُكْمٌ خَاصٌّ، وَهَذِهِ الْأَقْسَامُ هِيَ:⁹⁵
أولاً: تفسير الصحابي له حُكْمُ الْمَرْفُوعِ إِذَا كَانَ يَشْمَلُ أَسْبَابَ النَّزُولِ، وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْمُعَيَّبَاتِ وَحُكْمُهُ الْقَوْلُ إِذَا صَحَّ الْخَبَرُ فِيهِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا لَا مَجَالَ لِلْاجْتِهَادِ فِيهِ.⁹⁶ وَيَلْحَقُ بِهَذَا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ؛ لِأَنَّ الْإِجْمَاعَ حُجَّةٌ، فَيَكُونُ بِقُوَّةِ الْمَرْفُوعِ.⁹⁷ وَقَدْ وَضَعَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَيْدًا فِي الْعَيَّبَاتِ، وَهُوَ أَلَّا يَكُونَ الْمُفَسِّرُ مَشْهُودًا بِالْأَخْذِ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذَا كَانَ فِي الْقَوْلِ الْمَذْكُورِ شَبَهَةً الْخَبَرِ الْإِسْرَائِيلِيِّ.⁹⁸
 وَمِنْ أَمْثَلِهِ أَسْبَابُ النَّزُولِ مَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ: مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ مِنْ دُبْرَهَا فِي قُبُلِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) {البقرة: 223}.
 قَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا الْحَدِيثُ وَأَشْبَاهُهُ مُسْنَدٌ عَنْ آخِرِهَا وَلَيْسَتْ بِمَوْقُوفَةٌ؛ فَإِنَّ الصَّحَابِيَّ الَّذِي شَهِدَ الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فَأَخْبَرَ عَنِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ.⁹⁹
ثانياً: منه ما رجعوا فيه إلى لغتهم، وحكم هذا القبول كذلك؛ لأنهم هم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وهم أعلم بلغتهم من غيرهم.¹⁰⁰

ثالثاً: منه ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات.

رابعاً: منه ما اجتهدوا فيه، فإن توافق اجتهدوا فيه؛ فيكون حجة.¹⁰¹ وإن اختلفت اجتهادهم؛ فيرجح بين أقوالهم بأحد المرجمات.

خامساً: أن لا يرد إلا عن أحدهم، ولا يعلم له مخالف؛ فهذا الأخذ به أولى، خاصة إذا حقت به قرائن القبول؛ كأن يكون قول مشهور منهم؛ كعلي، وابن مسعود، وابن عباس.¹⁰²

المطلب الرابع: نماذج من استعمال الإمامين أبي زهرة وطنطاوي لتفسير الصحابة.

قد أورد الإمامان أبو زهرة وطنطاوي -رحمهم الله- أقوال الصحابة، وسأذكر بعض النماذج التي أوردوها في تفسيرهم.
أولاً: نموذج من تفسير الإمام أبي زهرة -رحمه الله-:

ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) {إبراهيم: 5}، قال: وَرَدَّتْ أَخْبَارٌ مِنَ السَّلَفِ بَأَنَّ أَيَّامَ اللَّهِ، الْوَقَائِعُ الَّتِي انْتَصَرَ اللَّهُ فِيهَا لِكَلِمَةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ، كَمَا نَزَلَ بِقَوْمِ نُوحٍ، وَقَوْمِ هُودٍ، وَقَوْمِ صَالِحٍ، وَقَوْمِ لُوطٍ، وَأَلْ مَدِينِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ كَلِمَةَ (أَيْمِ) تُطْلَقُ فِي التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ لَهَا دَوِيٌّ فِي الْعَرَبِ كَحَرْبِ "ذِي قَارٍ" ... وَرُويَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَيَّامَ اللَّهِ هِيَ النَّعْمُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْأَيَّامُ الَّتِي أَنْزَلَ بِهَا عِتَاباً لَأَهْلِ مِصْرَ لِيَسْلِمُوا، فَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ تِسْعَ آيَاتٍ هِيَ: الطوفان والجراد والقمل، والضفادع والدم والعصا، ويده إذ تخرج بيضاء من غير سوء، والسنين ونقص من الثمرات.¹⁰³

⁹⁴ (فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص49، مرجع سابق. وانظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ج8، ص556، مرجع سابق.

⁹⁵ (فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص49، المرجع السابق.

⁹⁶ (التفسير والمفسرون: للذهبي، ج1، ص72، مرجع سابق.

⁹⁷ (فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص49، المرجع السابق.

⁹⁸ (النكت على كتاب ابن الصلاح: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، المحقق: ربيع بن هادي عمير المنخلي، ج2، ص530، 531، ن: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1: 1404-1984م. فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص49، مرجع سابق.

⁹⁹ (النكت عن كتاب ابن الصلاح: للعسقلاني، ج2، ص531، 532، المرجع السابق. فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص50، المرجع السابق.

¹⁰⁰ (انظر التفسير والمفسرون: للذهبي، ج1، ص72، مرجع سابق. فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص50، مرجع سابق. الموافقات: للشاطبي، ج3، ص218.

¹⁰¹ (انظر: فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص51، المرجع السابق. الموافقات: للشاطبي، ج3، ص218، المرجع السابق.

¹⁰² (انظر: فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص51، مرجع سابق. الموافقات: للشاطبي، ج3، ص218، مرجع سابق.

¹⁰³ (زهرة التفاسير: لأبي زهرة: ج8، ص3990، 3991، مصدر سابق.

ففي هذا المِثَال: نقل الإمام أبا زهرة عن الصحابيِّ الجليلِ ابن عباس مدلاً بقوله على معنى (يَأْتِيُمُ اللَّهُ) فقال: أيامَ الله هي اللَّعْمُ التي أَنْعَمَ بها على بني إسرائيل، وكان نقله صريحاً.
ثانياً: نموذج من تفسير الإمام محمد طنطاوي -رحمه الله-:

ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ) {الرعد:26}، قال فيها: وقوله -سبحانه- (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ) بيانٌ لِقَلَّةِ نعيمِ الدُّنْيَا بالنسبةِ لنعيمِ الآخرة. والمتاع: ما يتمتع به الإنسان في دنياه من مالٍ وغيره لِمُدَّةٍ مُّحَدَّدَةٍ ثُمَّ يَنْقُضِي... قال الألويسيُّ ما مُلَخَّصُهُ: قوله (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ) أي: كائنةً في جنبِ نعيمِ الآخرة...، كما يُقال: ذُنُوبُ الْعَبْدِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ -تعالى- كقطرةٍ في بحر، والمُرَادُ بقوله: (إِلَّا مَتَعٌ) أي: إلا شيئاً يسيراً يتمتع به كزادِ الراعي. والمعنى: أنهم رَضُوا بحظِّ الدُّنْيَا مُعْرِضِينَ عن نعيمِ الآخرة، والحالُ أن ما فرحوا به في جنبِ ما أعرضوا عنه قليلُ النَّفْعِ، سريعُ النِّفَادِ. أخرج الترمذيُّ وصحَّحَهُ عن عبد الله بن مسعود قال: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ (صلي الله عليه وسلم) على حصير، فقامَ وقد أثيرَ في جنبِهِ، فقلنا يا رسولَ الله: لو اتخذنا لك؟ فقال (صلي الله عليه وسلم): مالي وللدُّنْيَا، ما أنا في الدُّنْيَا إلا كراكبٍ استنزلَ بشجرةٍ ثم راح وتركها. 104 105

ففي هذا المِثَال: أن الإمام طنطاوي نقل عن الصحابيِّ الجليلِ ابن مسعود.

المطلب الأول: أسباب الرجوع إلى تفسير التابعين

التابعي: هو من لقي الصحابيِّ مؤمناً، ومات على الإسلام، وذهب كثيرٌ من المُحَدِّثِينَ إلى القولِ بأنَّ المُرَادَ بِهِ: هو من لقي واحداً من الصحابةِ فأكثر. فيكفي عن هؤلاء مُجَرَّدَ اللَّقْيِ وإن لم تكن الصُّحْبَةُ. 106
بعد أن انتهت المرحلة الأولى من التفسير بانصرام عهد الصحابة، بدأت المرحلة الثانية وهي عصرُ التابعين الذين تتلمذوا على يدِ الصحابةِ وتلقوا غالبَ معلوماتهم عنهم ونقلوا الكثيرَ من العلوم التي وعوها وحفظوها عن رسولِ الله (صلي الله عليه وسلم) لمجاستهم وأخذهم عنهم حيث تلقوا التفسيرَ عنهم مباشرةً. وكما اشتهر بعضُ أعلامِ الصحابةِ بالتفسيرِ والرُّجُوعِ إليهم في استجلاءِ بعضِ ما خفي من كتابِ الله تعالى، اشتهر أيضاً أعلامٌ من التابعين وتكلموا في التفسيرِ ووضَّحوا لمعاصريهم ما خفي من معانيه، وذلك لأنهم عاشوا في عصرِ الاحتجاجِ اللُّغوي، فلم تُفسِّرْ ألسنتهم العجَمَةَ، وكان لهم من الفهمِ وسلامةِ المقصدِ مما جعل من بعدهم يرجعوا إلى أقوالهم في التفسيرِ ويعتمدوها. 107

المطلب الثاني: مصادر التابعين في التفسير

تعدُّ مصادرُ التابعين في التفسيرِ هي نفسها مصادرُ الصحابةِ إلا أنَّهم يزيّدون بمصدرِ الصحابةِ، وهم يعدون مصدراً لمن بعدهم.

أولاً: القرآن الكريم:

اجتهدَ التابعونَ في بيانِ القرآنِ بالقرآنِ وذلك ما وردَ في تفسيرِ مُجاهدِ بن جبر. 108
ومثال ذلك قال: أنبأ عبدُ الرحمن، قال: حدَّثنا إبراهيم، قال: ثنا آدم، قال: ثنا ورقاء، عن ابنِ نجيح، عن مُجاهد: (ثمَّ أَسْبِيبُ بَسْرَةٍ) {عبس:20}، قال: هو مثلُ قوله: (إِنَّا هَدَيْتُهُ أَسْبِيبًا) {الإنسان:3}. 109

ثانياً: السنة النبوية.

للتابعين في اعتمادِ السنةِ النبويةِ طريقتان:

الأول: أن يذكُرَ السَّنَدَ إلى رسولِ الله (صلي الله عليه وسلم)، ويعدُّ بعضُ الباحثينَ هذا النوعَ من تفسيرِ التابعين والصَّحِيحِ أنه من التفسيرِ النَّبَوِيِّ، لأنَّ التابعيَّ ذكَّرَ ما بلغه عن الرسولِ (صلي الله عليه وسلم) ولم يُفسِّر.

الثاني: أن يذكُرَ ما بلغه عن النبيِّ (صلي الله عليه وسلم) دونَ ذكرِ السَّنَدِ، وهذا وإن كان مُرسلاً إلا أنه يدلُّ على اعتمادِ التابعينَ التفسيرِ النَّبَوِيِّ في تفسيرِهم، 110 وذلك ما أخرجهُ الطبريُّ عن الحسنِ في تفسيرِ قوله تعالى: (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ

104 (سنن الترمذي: ج4، ص166، ك:34، باب 44، ح(2377)، مصدر سابق.

105 (التفسير الوسيط: لطنطاوي: ج7، ص475. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ج13، ص131، مصدر سابق.

106 (تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة: رسالة دكتوراه، الدكتور محمد عبد الله بن علي الخضير، الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص46، ط1: 1420-1999م، ن: دار الوطن، الرياض.

107 (انظر التفسير والمفسرون: للذهبي، ج1، ص76، مرجع سابق. فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص51، مرجع سابق.

108 (فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص52، مرجع سابق.

109 (تفسير مجاهد: ص705، مصدر سابق.

110 (فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص53، المرجع السابق.

{المائدة:27}، قَالَ الْحَسَنُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ لَكُمْ ابْنِي آدَمَ مَثَلًا، فَخُذُوا مِنْ خَيْرِهِمْ وَدَعُوا الشَّرَّ. ¹¹¹ وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) {السجدة:17}، بَلَّغْنِي أَنْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: قَالَ رَبُّكُمْ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. ¹¹²

ثالثاً: الصحابة.

تَلَمَّذَ التَّابِعُونَ عَلَى يَدِ الصَّحَابَةِ، وَاشْتَهَرَ بَعْضُهُمْ بِالْأَخْذِ عَنِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ؛ كَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، وَمُجَاهِدٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَأَخْذُوا التَّفْسِيرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمِنَ الْمَرْوِيَّاتِ الدَّالَّةُ عَلَى اعْتِمَادِ التَّابِعِينَ تَفْسِيرَ الصَّحَابَةِ مَا رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ بِسَنَدِهِ عَنِ الضَّحَّاكِ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ) {ق:30}، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: (قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْهُوْمًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) {الأعراف:18}، لَا يَلْقَى فِيهَا نَفْسًا إِلَّا دَهَبَ فِيهَا، لَا يَمْلُؤُهَا شَيْءٌ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْعِدْ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدًا إِلَّا دَخَلَهَا -وهي لا يملؤها شيء- أَتَاهَا الرَّبُّ فَوَضَعَ قَدَمَهُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: هَلِ امْتَلَأَتْ يَا جَهَنَّمَ؟ فَتَقُولُ قَطِّ قَطِّ، قَدْ امْتَلَأَتْ. ¹¹³

رابعاً: اللغة.

لَا يَزَالُ التَّابِعُونَ فِي عَصْرِ الْاِحْتِجَاجِ اللُّغَوِيِّ، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ فِي تَفْسِيرِهِمْ اعْتِمَادٌ عَلَى اللُّغَةِ وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي تَفْسِيرِهِمْ، وَمِنَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَلْحَلَّ بِاسْمِهَا لَهَا طَعْمٌ نُّصِيدٌ) {ق:10}، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقْتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ: الْبَاسِقَاتُ (الطَّوَالُ). ¹¹⁴

خامساً: أهل الكتاب.

كَانَ رُجُوعُ التَّابِعِينَ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْثَرَ مِنْ رُجُوعِ الصَّحَابَةِ ¹¹⁵ وَلَكِنْ بَيَّضَى الْأَمْرُ فِي أَنْ مَا رُوِيَ عَنْهُ مِنْ أَخْبَارِ إِسْرَائِيلِيَّةٍ فَهِيَ فِي حُكْمِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَلِعَلَّهُمْ كَانُوا يَذْكُرُونَهُ مِنْ بَابِ الْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ لَا مِنْ بَابِ التَّفْسِيرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَتَظْهَرُ كَثْرَةُ مَرْوِيَّاتِهِمْ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِهِمْ، وَمِنَ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ عَنِ بَعْضِ التَّابِعِينَ فِي مَائِدَةِ النَّصَارَى: قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ: «نَزَلَتْ الْمَائِدَةُ خَبزاً وَسَمَكاً». ¹¹⁶

سادساً: الفهم والاجتهاد.

اعْتَمَدَ التَّابِعُونَ وَاجْتَهَدُوا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَإِبْرَازِ فَوَائِدِهِ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ نَظَرًا لِأَنَّ مَرَجِعَ ذَلِكَ هُوَ عُقُولُهُمْ وَعُلُومُهُمْ، وَهِيَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَشْخَاصِهِمْ، وَلِذَا فَدَّ يَكُونُ لَهُمْ فِي فَهْمِ الْآيَةِ أَكْثَرُ مِنْ مَعْنَى، فَكُلُّ مَعْنَى مَبْنِي عَلَى مَا سَبَقَ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَمَّ ذِكْرُهَا سَابِقًا وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (ثُمَّ أَلْسَيْلَ يَسْرَهُ) {عبس:20}، قَالَ السَّيِّدِيُّ، وَقْتَادَةُ: يَسْرَ خُرُوجُهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ: «يَسْرَ سَبِيلَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». ¹¹⁷

المطلب الثالث: حكم تفسير التابعي.

لَقَدْ حَظَّتْ أَقْوَالُ التَّابِعِينَ فِي سَائِرِ فُرُوعِ الْعِلْمِ اهْتِمَامًا كَبِيرًا، فَرَوَى الْكَثِيرُ مِنْهُمْ، وَجُمِعَتْ قَتَاوِيهِمْ وَأَرَاؤُهُمْ، وَقَدْ وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْأَيْمَةِ فِي قَبُولِ قَوْلِ التَّابِعِيِّ وَالْأَخْذِ بِأَقْوَالِهِمْ إِذَا لَمْ يُؤْتَرَ فِي ذَلِكَ عَنِ الرَّسُولِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أَوْ عَنِ الصَّحَابَةِ. لِذَلِكَ لَا يُحْكَمُ عَلَى قَوْلِ التَّابِعِيِّ فِي الْعُمُومِ مِنْ حَيْثُ الْقَبُولُ وَالرَّدُّ، فَهُنَاكَ آرَاءٌ وَأَقْوَالٌ فِي ذَلِكَ، يُقَالُ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَوَيْتَانِ: رَوَايَةٌ بِالْقَبُولِ، وَرَوَايَةٌ بَعْدَ الْقَبُولِ، وَاخْتَارَ ابْنُ عُقَيْلٍ الْمَنْعَ، وَحَكَى عَنِ شُعْبَةَ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: رَأَى التَّابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ رِيحٌ لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟!»، وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ إِلَى عَدَمِ الْأَخْذِ بِقَوْلِ التَّابِعِيِّ، وَاسْتَدَلَّ أَصْحَابُ هَذَا الرَّأْيِ: بِأَنَّ التَّابِعِينَ لَيْسَ لَهُمْ سَمَاعٌ مِنَ الرَّسُولِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَلَمْ يُشَاهِدُوا الْقُرَّانَ مِثْلَ الصَّحَابَةِ، لِذَلِكَ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ خَطَأٌ فِي فَهْمِ الْمُرَادِ، وَظَنَّ مَا لَيْسَ بِدَلِيلٍ دَلِيلًا، وَأَنَّ عَدَالَةَ التَّابِعِينَ غَيْرُ

¹¹¹ (الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره: أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح، قدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن مانع الروقي، ص147، ن: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط1: 1431 هـ - 2010م.

¹¹² (جامع البيان في تأويل أي القرآن: لابن جرير الطبري ج18، ص623، مصدر سابق.

¹¹³ (فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار: ص54، مرجع سابق. جامع البيان في تأويل أي القرآن: لابن جرير الطبري: ج21، ص445، مصدر سابق.

¹¹⁴ (فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار: ص54، المرجع السابق. جامع البيان في تأويل أي القرآن: لابن جرير الطبري: ج25، ص153، المصدر السابق.

¹¹⁵ (انظر مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية، ص58، مرجع سابق. فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص55، المرجع السابق.

¹¹⁶ (جامع البيان في تأويل أي القرآن: لابن جرير الطبري: ج11، ص227.

¹¹⁷ (فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص55، مرجع سابق. انظر جامع البيان في تأويل أي القرآن: لابن جرير الطبري: ج24، ص112، مصدر سابق.

مَنْصُوصٍ عَلَيْهَا مِنَ الصَّحَابَةِ كَمَا الصَّحَابَةُ، وَقَدْ صَرَّحَ أَبُو حَنِيفَةَ بِقَوْلِهِ: مَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَمَا جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ تَخِيرْنَا، وَمَا جَاءَ عَنِ التَّابِعِينَ فَهُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ. وَقَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّهُ يُؤْخَذُ بِقَوْلِ التَّابِعِيِّ فِي التَّفْسِيرِ لِأَنَّ التَّابِعِينَ تَلَفُّوا غَالِبَ تَفْسِيرَاتِهِمْ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ: «عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَوْفَقَهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا»، وَقَالَ قُتَادَةُ: «مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئًا»، وَقَدْ دَرَجَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى الِاسْتِشْهَادِ بِأَقْوَالِ التَّابِعِينَ فِي كُتُبِهِمْ وَنَقَلُوهَا عَنْهُمْ وَاعْتَمَدُوهَا، وَجَاءَتْ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ لَا يُحْصِيهَا الْعَدَدُ، ذَكَرَ مِنْهَا فِي تَفْسِيرِهِمْ بَكْثِيرِ ابْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَالسِّيُوطِيِّ، وَالْبَعَوِيِّ، وَابْنِ كَثِيرٍ، وَغَيْرِهِمْ.¹¹⁸

أولاً: نموذج من تفسير الإمام أبي زهرة التي أوردتها عن التابعين:

مثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمٍّ مَسْنُونٍ) {الحجر: 26}، قَالَ فِيهَا: الصَّلْصَلُ هُوَ الطِّينُ الْيَاسِ، وَرُويَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الطِّينُ الْمُنْتِنُ، أَيِ الطِّينِ الْعَطْنِ وَذَلِكَ بَيَانٌ لِصِغَرِ أَصْلِ الْإِنْسَانِ، وَنَحْنُ نَمِيلُ إِلَى رَأْيِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَوْلِهِ: (مِنْ حَمٍّ) الْحَمُّ: الطِّينُ، وَ (مِنْ) ابْتِدَائِيَّةٌ، أَيِ خَلَقْنَاهُ مِنْ طِينٍ يُصَلِّصَلُ، (مَسْنُونٍ)، أَيِ شَكْلٍ بِأَيِّ شَكْلٍ، وَلِيَكُنْ شَكْلُ إِنْسَانٍ. هَذَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ أَوْ أَصْلَهُ تَكْوِينَهُ.¹¹⁹ فِي هَذَا الْمَثَلِ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا زَهْرَةَ نَقَلَ عَنِ التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ ابْنِ مُجَاهِدٍ تَلْمِيذَ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ابْنِ عَبَّاسٍ تُرْجَمَانِ الْقُرْآنِ ثَانِيًا: نَمَازِجَ مِنْ تَفْسِيرِ الْإِمَامِ طَنْطَاوِيِّ الَّتِي أوردتها عن التابعين.

ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) {إبراهيم: 24}، قَالَ فِيهَا: وَالْمُرَادُ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ: كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَقَوْلِ طَيِّبٍ. قَالَ الْأَلُوسِيُّ مَا مُلَخَّصُهُ: «وَالْمُرَادُ بِالشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ - الْمُشَبَّهَةِ بِهَا - النَّخْلَةُ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ وَرُويَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَمُجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ وَالضَّحَّاكَ وَابْنَ زَيْدٍ.¹²⁰

فِي هَذَا الْمَثَلِ أوردَ الْإِمَامُ قَوْلَ الصَّحَابِيِّينَ الْجَلِيلِينَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَنَقَلَ عَنِ التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ ابْنِ مُجَاهِدٍ تَلْمِيذُ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ ابْنِ عَبَّاسٍ تُرْجَمَانِ الْقُرْآنِ، وَقَوْلُ التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ عُكْرَمَةَ وَالضَّحَّاكَ، وَسَعِيدَ ابْنَ جَبْرِ وَعَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ، وَقُتَادَةَ.

ترى الباحثة أنه من خلال عرض الأمثلة السابقة نخلص إلى ما يلي:

أَنَّ الْإِمَامِينَ اسْتَعْمَلُوا أَصْلًا مَهْمًا مِنْ أَصُولِ التَّفْسِيرِ، وَهُوَ الِاسْتِشْهَادُ بِأَقْوَالِ التَّابِعِينَ كَأَمْثَالِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَسَعِيدِ ابْنِ جَبْرِ وَابْنِ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَقُتَادَةَ وَالضَّحَّاكَ الَّذِينَ نَقَلُوا عَنِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، أَنَّهُمَا كَانَ يَعْزِوَانِ الْقَوْلَ إِلَى قَائِلِيهَا مِنَ التَّابِعِينَ الْكِرَامِ.

المبحث الخامس: تفسير القرآن باللغة.

المطلب الأول: أسباب الرجوع إلى التفسير باللغة.

اللُّغَةُ: فَعْلَةٌ مِنْ لَعَوْتُ؛ تَكَلَّمْتُ، وَأَصْلُهَا لَعَوْتُ، وَقِيلَ: لُعِيْتُ أَوْ لَعَوْتُ - عَلَى وَزْنِ فَعَلْتُ - وَالْهَاءُ عِوَضٌ، وَجَمَعَهَا: لُعِيٌّ، وَلُعَاتٌ، وَلُعُونٌ.¹²¹

اللُّغَةُ اصطلاحاً: عَرَّفَهَا ابْنُ حَزْمٍ بِأَنَّهَا أَلْفَاظٌ يُعْبَرُ بِهَا عَنِ الْمُسَمَّيَاتِ وَالْمَعَانِي الْمُرَادِ إِفْهَامَهَا، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ لُعُونٌ.¹²² فَاللُّغَةُ الطَّرِيقُ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ التَّفَاهُؤُ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَنِ طَرِيقِ التُّطْقِ بِالْأَلْفَاظِ.¹²³ فَالْمُرَادُ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِاللُّغَةِ: بَيَانُ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَدْلُولِ مَفْرَدَاتِهِ وَتَرَكَيبِيهِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ.¹²⁴ فَتَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِلُغَةِ الْعَرَبِ يُعْتَبَرُ مِنْ طَرِيقِ التَّفْسِيرِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهَا وَاعْتَمَدَ عَلَى أَسَالِيْبِهَا فِي الْخُطَابِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى (اخْتَارَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَرَبِيًّا، لِذَلِكَ كَانَ مِنَ السُّنَنِ أَنْ يَكُونَ كِتَابُهُ

¹¹⁸ (انظر: التفسير والمفسرون: للذهبي، ج1، ص96، مرجع سابق. مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية، ص44 مرجع سابق. تفسير التابعين: للخضير، ج1، ص49-51.

¹¹⁹ زهرة التفاسير: لأبي زهرة: ج8، ص4085، مصدر سابق.

¹²⁰ التفسير الوسيط: لطنطاوي: ج7، ص550، المصدر السابق.

¹²¹ لسان العرب: لابن منظور: ج15، ص252، مادة (لغو)، مرجع سابق.

¹²² الإحكام في أصول الأحكام: للأمدي ج1، ص46، مرجع سابق.

¹²³ التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد الطيار، ص35، مرجع سابق.

¹²⁴ التحرير في أصول التفسير: مساعد الطيار، ص177، مرجع سابق.

بِلِسَانِ قَوْمِهِ، جَرِيًّا عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى إِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَى أَقْوَامِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) {إبراهيم:4} .
 وهناك العديد من الآيات التي تُدَلِّلُ على عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) {يوسف:2} . وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ زِكْرًا) {طه:113} .

وَمِمَّا يُدَلِّلُ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا حَدِيثُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عِنْدَمَا اسْتَشْكَلَ عَلَى الصَّحَابَةِ تَفْسِيرُ (الظُّلْمِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) {الأنعام:82} .
 وَوَجْهَ الدَّلَالَةِ هُنَا أَنَّ الصَّحَابَةَ قَدْ فَسَّرُوا الظُّلْمَ بِمَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ لُغَتِهِمْ، وَلَمْ يَنْكُرْ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَقَدْ حَكَى صَاحِبُ كِتَابِ مَقْدِمَةِ الْمَبَانِي: إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ عَلَى جَوَازِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِاللُّغَةِ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعُكْرَمَةَ وَالْحَسَنِ وَقَتَادَةَ وَمَجَاهِدٍ وَسَعِيدٍ وَالضَّحَّاكِ وَابْنِ زَيْدٍ أَنَّ تَفْسِيرَ السَّاهِرَةِ الْأَرْضِ.¹²⁵
 وَقَدْ شَدَّدَ الْعُلَمَاءُ عَلَى مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ وَهُوَ غَيْرُ عَالِمٍ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِ.¹²⁶
 كَمَا فِي قَوْلِهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: أَلَا أُوتِي بَرَجُلٍ يُفَسِّرُ كَلَامَ اللَّهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ لُغَةَ الْعَرَبِ إِلَّا جَعَلْنَاهَا نِكَالًا.¹²⁷
 فَهَذَا كُلُّهُ يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ شَرْطٌ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ لِأَنَّ مَنْ أَرَادَ تَفْسِيرَهُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ اللُّغَةَ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ لَا شَكَّ سَيَقَعُ فِي الزَّلَلِ بَلْ سَيَحَرِّفُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.¹²⁸

المطلب الثاني: نماذج من استعمال الإمامين أبي زهرة وطنطاوي للتفسير باللغة.

ومثال ذلك للإمامين أبي زهرة وطنطاوي عند تفسيريهما لقوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي إِنْ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) {الرعد:7} .
أولاً: تفسير الإمام أبي زهرة باللغة:

عند تفسيره لقوله تعالى: قال (لولا) في قوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مَعَهَا هَلَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَعَدَمِ وُجُودِ آيَةٍ، وَيَتَضَمَّنُ بِالنَّالِيِّ إِنْكَارَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ آيَةً مَعَ التَّحْدِي الْمُتَوَالِي. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) فِي التَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ مَا يُفِيدُ بِنِكَارِ هَذَا الطَّلَبِ عِنْدًا وَسِتْرًا لِكُفْرِهِمْ، وَلِعَجْزِهِمْ عَنِ التَّحْدِي فَقَدْ طَلَبُوا أَنْ يُنَزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ فِي قِرطَاسٍ وَأَنْ يَلْمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ، وَأَنْكُرُوا أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا، وَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُمْ بِقَوْلِهِ: (قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مُلْكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا) {الإسراء:95} .¹²⁹

ثانياً: تفسير الإمام طنطاوي باللغة:

عند تفسيره لقوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي إِنْ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) {الرعد:7} ، قَالَ: «ثُمَّ حَكَى -سُبْحَانَهُ- لَوْنَا آخَرَ مِنْ رَدَائِلِهِمْ، وَهُوَ عَدَمُ اعْتِدَادِهِمْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ فَقَالَ -تَعَالَى-: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) وَ(لَوْلَا) هُنَا حَرْفٌ تَحْضِيضٍ بِمَعْنَى هَلَّا. وَمُرَادُهُمْ بِالْآيَةِ: مُعْجَزَةٌ كَوَيْبِيَّةٌ كَالَّتِي جَاءَ بِهَا مُوسَى مِنَ إِقَانِهِ الْعَصَى فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى، أَوْ كَالَّتِي جَاءَ بِهَا عِيسَى مِنْ إِبْرَائِيهِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَإِحْيَائِهِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، أَوْ كَمَا يَقْتَرِحُونَ هُمْ مِنْ جَعَلِ جَبَلٍ الصَّفَا ذَهَبًا لِأَنَّ الْقُرْآنَ -فِي رَعْمِهِمْ- لَيْسَ كَافِيًا لِكُونِهِ مُعْجَزَةً دَالَّةً عَلَى صِدْقِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). أَي: وَيَقُولُ هُوَ لِأَنَّ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ عُمُوا وَصُمُّوا عَنِ الْحَقِّ وَاسْتَعَجَلُوا الْعَذَابَ. هَلَّا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) آيَةً أُخْرَى غَيْرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُدَلُّ عَلَى صِدْقِهِ. وَلَقَدْ حَكَى الْقُرْآنَ مَطَالِبَهُمُ الْمُتَعَنِّتَةَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ -تَعَالَى-: (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبْنُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خَلْفَهَا تَفْجِيرًا ...) {الإسراء:91،90} .¹³⁰

¹²⁵ انظر: جامع البيان في تأويل أي القرآن: لابن جرير الطبري، ج4، ص24، ص75.

¹²⁶ فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص59، مرجع سابق.

¹²⁷ التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، ج1، ص411، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط: 1430هـ، ن: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

¹²⁸ التفسير اللغوي للقرآن الكريم: لمساعد الطيار، ص41، مرجع سابق.

¹²⁹ زهرة التفسير: لأبي زهرة: ج7، ص3902، مصدر سابق.

¹³⁰ التفسير الوسيط: لطنطاوي: ج7، ص449، مصدر سابق.

في هذا المثال ترى الباحثة أنَّ الإمامين اتَّفقا على تفسير (لَوْلَا) مِنَ اللُّغَةِ بِمَعْنَى هَلَّا حَرْفٌ تَحْضِيضٌ، وهذا يُبَيِّنُ أَنَّهَا كَانَتْ يَسْتَعْمَلَانِ اللُّغَةَ وَيَعْتَمِدَانِ عَلَيْهَا بِشَكْلِ كَبِيرٍ فِي بَيَانِ مَعَانِي بَعْضِ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَوْضَحَ الْإِمَامُ أَبُو زَهْرَةَ اسْتِخْدَامَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ التَّعْبِيرَ بِالْمُضَارَعِ (وَيَقُولُ) لِأَنَّهُ يُفِيدُ التَّكْرَارَ وَفِي هَذَا جَزْأَةً اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي مَعَانِيهَا. وترى الباحثة من خلال هذا المبحث وبعد عرض هذه الأمثلة نخلص إلى ما يلي:

أن الإمامان أبا زهرة وطنطاوي استعمالاً أصلاً مهماً من أصول التفسير وهو التفسير باللغة العربية، أن الناظر إلى تفسيري كل من الإمام أبي زهرة وطنطاوي يجدهما ملئى بالعبارات اللغوية والمسائل النحوية، وتحليل المفردات، والتوجيهات البلاغية من اللغة العربية.

المبحث السادس: تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد.

المطلب الأول: ذكر الخلاف في التفسير بالرأي والاجتهاد.

تعريف التفسير بالرأي: هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المُفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفة للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانتها في ذلك بالشعر العربي، ووقوفه على أسباب التزلزل، ومعرفة بالتأسيخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المُفسِّر.¹³¹

اختلَفَ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ فِي جَوَازِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ، وَانْقَسَمُوا فِي مَوْقِفِهِمْ إِلَى فَرِيقَيْنِ بَيْنَ مُؤَيِّدٍ وَمُعَارِضٍ. أولاً: أدلة المانعين للتفسير بالرأي:

استدلَّ المَانِعُونَ بِأَدِلَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَأَثَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ وَفِيهَا يَلِي أْبْرَزُ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ: الدليل من القرآن الكريم:

قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَاللَّبَغِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) الأعراف:33، ففي هذا أوضح العلماء أن القول بغير علم محرَّم، لأنَّ في الآية معطوف على محرَّم، والتفسير بالرأي قول على الله بغير علم فيكون محرَّمًا.

الدليل من السنة النبوية:

مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلي الله عليه وسلم) قَالَ: اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.¹³²

الأدلة من آثار الصحابة والتابعين:

هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي اسْتَدَلَّ بِهَا الْمَانِعُونَ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ وَمِنْهَا أَثَارٌ مِنَ الصَّحَابَةِ:

أَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ بِإِسْنَادِهِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: أَيُّ أَرْضٍ تَقَلَّنِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تَظَلَّنِي إِنْ قُلْتُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِرَأْيِي، أَوْ بِمَا لَا أَعْلَمُ، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى، إِذَا قُلْتُ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا أَعْلَمُ.¹³³

أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الرَّأْيَ إِنَّمَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وسلم) مُصِيبًا، لِأَنَّ اللَّهَ كَانَ يُرِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَّا الظَّنُّ وَالتَّكَلُّفُ.»¹³⁴

أَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنِ الْوَلِيدِ ابْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: جَاءَ طَلْقُ ابْنِ حَبِيبٍ إِلَى جَنْدَبِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ: أَحْرَجُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لِمَا قُمْتَ عَنِّي، أَوْ قَالَ: أَوْ تَجَالِسَنِي.

من خلال هذه الأدلة من آثار الصحابة والتابعين للقائلين بمنع التفسير بالرأي يتبين أنهم حقيقة غير مانعين وإنما يجيزون تفسير القرآن بالرأي ولكن وفق شروط خاصة.

فدليل امتناعهم عن التفسير فهو فيما لا علم لهم به، أما ما كانوا يعلمونه فكانوا يقولون به ولا يكتمونه، وإلا كانوا من الذين يكتمون العلم والذين هددهم الله ورسوله بالعذاب الأليم، ويؤكد ذلك أن كُتِبَ التفسير ملبئة بتفاسير صحيحة عنهم تكلموا فيها بما علموا وسكتوا عما جهلوه.

¹³¹ (التفسير والمفسرون: للذهبي، ج1، ص183، مصدر سابق.

¹³² سنن الترمذي: ج5، ص49، ك: التفسير، ب: (1) باب ما جاء في الذي يُفسِّرُ القرآن برأيه، ح: 2951، قال عنه حديث حسن، مصدر سابق.

¹³³ جامع البيان في تأويل أي القرآن: لابن جرير الطبري: ج1، ص72، مصدر سابق.

¹³⁴ سنن أبي داود: ج5، ص439، ك: الأفضية، ب: 7 قضاء القاضي إذا أخطأ، ح: (3585)، مصدر سابق.

وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ أَيْضاً أَنْ امْتِنَاعَ مَنْ امْتَنَعَ مِنْهُمْ عَنِ التَّفْسِيرِ بِالرَّأْيِ كَانَ عَلَى سَبِيلِ التَّوَرُّعِ وَالاحتِطَاطِ خَوْفاً مِنْ عَدَمِ إِصَابَةِ قَوْلِ الْحَقِّ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ التَّفْسِيرَ هُوَ الرِّوَايَةُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.¹³⁵ لِذَلِكَ قَالَ الشَّعْبِيُّ فِيمَا يَرَوِيهِ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: وَاللَّهُ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهَا، وَلَكِنَّهُ الرِّوَايَةُ عَنِ اللَّهِ.¹³⁶

ثانياً: أدلة القائلين بجواز التفسير بالرأي:

استدل القائلون بجواز التفسير بالرأي بصحة مذهبه بأدلة من القرآن والسنة، وبآثار مروية عن الصحابة والتابعين، وبأدلة عقلية:

الأدلة من القرآن الكريم:

هناك العديد من الآيات القرآنية تدعو إلى التدبر والتعقل مثل:

قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلُفْرَاءَ نَّ وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) {النساء: 82}.

قوله تعالى: (كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَبَّ رَوْأَ عَائِيَّةَ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) {ص: 29}.

الآيات دلت على أن تفسير ما لم يستأثر الله بعلمه ليس محظوراً على العلماء وأهل الفكر¹³⁷

الأدلة من السنة النبوية:

استدل العلماء بدعاء النبي (صلي الله عليه وسلم) لابن عباس لقوله: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).¹³⁸ فلو كان التفسير مقصوراً على النبي (صلي الله عليه وسلم) لم يكن لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء من فائدة، وفي هذا الدعاء دلالة على أن هناك من المعاني والاستنباطات التي يهبطها الله أهل العلم فوق ما هو مأثور ومنقول عن النبي (صلي الله عليه وسلم).

الأدلة بالآثار عن الصحابة والتابعين:

استدلوا بقول أبي بكر في الكلاله برأيه، حيث قال: أقول فيها برأبي¹³⁹ وأخرج بن جرير عن مجاهد أنه قال: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها.¹⁴⁰

الأدلة العقلية على جواز التفسير بالرأي:

مما يدل على جواز التفسير بالرأي اختلاف الصحابة في التفسير، فلو كان التفسير بالرأي ممنوعاً عليهم ومقصوراً على النبي (صلي الله عليه وسلم) لما تجرؤوا على التفسير ولما حدث بينهم هذا الاختلاف، ويقول أبو حامد الغزالي - رحمه الله -: إن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) محال، ولو كان الواحد مسموعاً رد الباقي، فتبين أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه.¹⁴¹

المطلب الثاني: العلم الذي يحتاجه من فسر بالرأي والاجتهاد.

اشترط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن برأيه بدون أن يلتزم الوقوف عند حدود المأثور منه فقط، أن يكون مُلمّاً بجملة من العلوم التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن تفسيراً عقلياً مقبولاً، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله بدون علم، وهذه الأدوات هي:

الأول: علم اللغة: لأن به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغة العرب.¹⁴²

الثالث: علم الصرف: وبواسطته تُعرف الأبنية والصيغ. قال ابن فارس: «ومن فاته المعظم، لأنَّ "وجد" مثلاً كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرهما.¹⁴³

الرابع: الاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف باختلافهما، كالمسيح مثلاً، هل هو من السياحة أو من المسح؟

¹³⁵ انظر التفسير بالرأي: للنجار، ص 27، مرجع سابق.

¹³⁶ جامع البيان في تأويل أي القرآن: لابن جرير الطبري: ج 1، ص 81، مصدر سابق.

¹³⁷ التفسير بالرأي: للنجار، ص 23، مرجع سابق.

¹³⁸ مسند أحمد: ج 4، ص 225، مسند عبد الله بن العباس، ح 2397، مصدر سابق.

¹³⁹ التفسير بالرأي: للنجار، ص 29، مرجع سابق.

¹⁴⁰ جامع البيان في تأويل أي القرآن: لابن جرير الطبري: ج 1، ص 85، مصدر سابق.

¹⁴¹ إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، ج 1، ص 290، (د. ط. ن: دار المعرفة - بيروت).

¹⁴² التفسير والمفسرون: للذهبي، ج 1، ص 189، مرجع سابق.

¹⁴³ (الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب: لابن فارس، ص 143).

الخامس والسادس والسابع: علوم البلاغة الثلاثة "المعاني، والبيان، والبديع: فعلم المعاني، يُعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وعلم البيان، يُعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وعلم البديع، يُعرب به وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة من أعظم أركان المفسّر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وذلك لا يُدرك إلا بهذه العلوم.

الثامن: علم القراءات: إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: علم أصول الدين: وهو علم الكلام، وبه يستطيع المفسّر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى، وما يجوز، وما يُستحل، وأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات، والمعاد.

العاشر: علم أصول الفقه: وبه يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها، ويعرف المجتم والمبين، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، وكل ما يرجع إلى هذا العلم.

الحادي عشر: علم أسباب النزول: إذ أن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية.

الثاني عشر: علم القصص: معرفة القصة تفصيلاً يعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن.

الثالث عشر: علم الناسخ والمنسوخ: وبه يعلم المحكوم من غيره. ومن فقد هذه الناحية، ربما أفتى بحكم منسوخ فيقع في الضلال والإضلال.

الرابع عشر: الأحاديث المبيّنة لتفسير المجمع والمبهم، ليستعين بها على توضيح ما يشكل عليه.

الخامس عشر: علم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالى - لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (... وَأَنْقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) {البقرة: 282}، وقوله (صلي الله عليه وسلم): مَنْ عمل بما علم وَرَّثَهُ اللَّهُ علم ما لا يعلم. 144 145

لذلك فمن تصدى للتفسير يجب أن يكون مستشعراً لتقوى الله، مستعيذاً من شرور نفسه. 146

المطلب الثالث: الحدّ الذي ينتهي إلى التفسير بالرأي والاجتهاد.

بعد أن تكلمنا في مسألة التفسير بالرأي وأوضحنا أدلة القائلين فيه والمانعين نتطرق هنا إلى مسألة مهمة وهي الحد الذي ينتهي إلى التفسير بالرأي والاجتهاد لأن هناك تفاسير كثيرة حكى المفسرون في ذمّها؛ كتفسير المعتزلة، والرافضة، والباطنية، وغيرهم.

والسبب في ذم هذه التفاسير لأنها خالفت أصولاً متفقاً على ثباتها في التفسير. 147

وإذا حكم على كتاب في التفسير بأنه مذموم، فإن هذا يكون بالنظر إلى منهج الاستدلال عند هذا المفسر فالمعتزلة - مثلاً - مصنفون في هذا النوع من الرأي، نظراً لمنهجهم في الاستدلال ولتحريفهم بعض الآيات لتوافق ما يعتقدون.

ومع الحكم على تفسير ما من تفاسيرهم بأنه مذموم، كتفسير الزمخشري، فإن هذا لا يعني أن كل تفسيره مذموم، بل فيه ما يوافق الحق. 148

ونرى أن الإمام أبو زهرة بين رأيه بالتفسير بالرأي وأنه أجازه وهو الطريقة المثلى وقال: «وإن الطريقة المثلى التي توصل إلى الغاية في فهم القرآن، وتعرف معانيه، وإدراك دلائل إعجازه هي الاعتماد على النقل والعقل، فلا يصح الاقتصار على النقل وحده، ولا على العقل وحده، وإنما النظر الأمثل هو أن يعتمد على العقل والرأي وعلى السماع من أقوال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في فهم القرآن، فظواهر القرآن من الألفاظ، والآثار التي تعاضد الظاهر، لا تكفي وحدها بل تساعد العقل، وتفتح له السبل لاستخراج معاني القرآن المتسعة الأفق البعيدة المدى التي توجه الفكر إلى أعماق الحقائق العلمية والكونية والنفسية، وكلما تفتح العقل في ظل إدراك الألفاظ وظواهر اللغة إدراكاً صحيحاً ما تشير إليه الحقائق الكونية، وما يشير إليه القرآن وإنه كلما اتسع أفق العقل البشري في فهم الكون والحقائق والشرائع اتسع فهمه للقرآن الكريم، ولعل هذا هو الحقيقة التي أشار إليها بعض الصحابة، إذ رُوِيَ عن أبي الدرداء أنه قال: «لا يفقه الرجل، حتى يجعل للقرآن وجوهاً أي اتجاهات متلاقية، ولكن بعضها أعمق من بعض، وكله حق. 149

144 (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: 430هـ)، ج10، ص15، ن: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، (ت:ن): 1394-1974م.

145 (التفسير والمفسرون: للذهبي، ج1، ص189-190، مرجع سابق.

146 (تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسبوني، ج1، ص40، ط1: 1420-1999م، ن: كلية الآداب - جامعة طنطا.

147 (فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص69، مرجع سابق.

148 (فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص69 - 71، مرجع سابق.

149 (زهرة التفاسير: لأبي زهرة، ج1، ص35، 36، مصدر سابق.

وذكر سبب منع ابن تيمية له فقال: «ونحسب أن المبرر الذي جعل ابن تيمية يتشدد في ذلك هو سد الذريعة لمنع الأوهام التي وجدت بتفسير بعض الإمامية، والإسماعيلية، والباطنية، فقد رويت تفسيرات سموها باطن القرآن وجعلوا للباطن باطنًا، حتى وصلوا إلى سبعة بواطن، فكان منع التفسير بالرأي دفعًا لهذه الأوهام الباطنية التي أفسدت المعاني القرآنية بتأويلات لا برهان عليها. فإذا كان الإسرائيليون قد أدخلوا على التفسير ما ليس بمعقول ولا مقبول.¹⁵⁰

المطلب الرابع: مدى استعمال الإمامين أبي زهرة وطنطاوي للتفسير بالرأي والاجتهاد

أولاً: تفسير الإمام أبي زهرة بالرأي والاجتهاد:

ومثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) {الحجر: 44}.

قال فيها: «فبعض المفسرين فهم أن السبعة عدد حقيقي، وأنهم في جهنم مراتب حسب هذا العدد وعلى مقدار ذنوبهم، ويشير إلى هذا قوله تعالى: (لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ)، أي أن كل طبقة من طبقاتها لها باب قد قسم لها جزء من المعذبين يدخلون فيه من غير سلام، بل مدفوعين، ملقون فيها كما تلقى أهمال الأشياء. وقد ذكر هذا الفريق من المفسرين طبقات النار، وهي جهنم، ثم لظى ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الحميم، ثم الهاوية، ويقول البيضاوي في توضيح هذا الرأي: ولعل تخصيص هذا العدد لانحصار المهلكات في الركون إلى المحسوسات، ومتابعة القوة الشهوية، لأن أهلها سبع فرق لكل باب منهم من الأتباع جزء مقسوم أفرز لها، فأعلاها للموحدين العصاة، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. وإننا لا نوافق العلامة البيضاوي ومن نقل عنه:

أولاً: لأن ذلك لا يعلم إلا بالتوقف.

وثانياً: لأن عصاة المؤمنين ليسوا داخلين في الذين تواعدوا مع إبليس على أن يكون موعدهم جهنم، ولأن هذه الأسماء أوصاف للنار، وليست أقساماً لها. وعندي أن العدد سبعة يذكر في اللغة العربية للدلالة على الكثرة لا على خصوص العدد سبعة.¹⁵¹

وترى الباحثة في هذا المثال أن الإمام قام بتفسير المعنى للآية بالرأي وذكر المقصود بالعدد سبعة من أقوال المفسرين هو العدد سبعة الحقيقي ونقل عن البيضاوي تفسيره لذلك لأن طبقات النار هي سبعة، وهي جهنم، ثم لظى ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الحميم، ثم الهاوية وذلك لانحصار المهلكات، ولأن أهلها سبع فرق لكل باب منهم من الأتباع جزء مقسوم أفرز لها، فأعلاها للموحدين العصاة، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين، وقد رد قول المفسرين وقول البيضاوي وقال أن العدد سبعة يذكر في اللغة العربية للدلالة على الكثرة لا على خصوص العدد سبعة.

ثانياً: تفسير الإمام طنطاوي بالرأي والاجتهاد:

ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزُورُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرُبُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) {الكهف: 17}.

قال فيها: «والمعنى لو رأيت أهل الكهف، لرأيتهم على هذه الصورة، وهي أن الشمس إذا طلعت من مشرقها، مالت عن كهفهم جهة اليمين، وإذا غربت، تراها عند غروبها، تميل عنهم كذلك، فهي في الحالتين لا تصل إليهم، حماية من الله - تعالى - لهم، حتى لا تؤذيهم بحرهما، بأن تغير ألوانهم، وتبلى ثيابهم. وقوله: (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ) جملة حالية. أي: والحال أنهم في مكان متسع من الكهف وهو وسطه... وللمفسرين في تأويل هذه الآية اتجاهان لخصهما الإمام الرازي فقال: «للمفسرين هنا قولان: أولهما: أن باب ذلك الكهف كان مفتوحاً إلى جانب الشمال، فإذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف، وإذا غربت كانت على شماله، فضاء الشمس ما كان يصل إلى داخل الكهف، وكان الهواء الطيب والنسيم الموافق يصل. والثاني: يرى أصحابه أنه ليس المراد ذلك، وإنما المراد أن الشمس إذا طلعت منع الله - تعالى - ضوءها من الوقوع عليهم، وكذا القول في حال غروبها، وكان ذلك فعلاً خارقاً للعادة، وكرامة عظيمة خص الله بها أصحاب الكهف.» ومن هذين الرأيين يتبين لنا أن أصحاب الرأي الأول، يرجعون عدم وصول حر الشمس إلى هؤلاء الفتيحة إلى أسباب طبيعية حماهم الله - تعالى - بها ومن بينها أن الكهف كان مفتوحاً إلى جهة الشمال. أما أصحاب الرأي الثاني

¹⁵⁰ زهرة التفسير: لأبي زهرة: ج: 1، ص: 31، مصدر سابق. فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار، ص: 58، مرجع سابق.

¹⁵¹ زهرة التفسير: لأبي زهرة: ج: 8، ص: 409، مصدر سابق.

فيردون عدم وصول أشعة الشمس إليهم إلى أسباب غير طبيعية، بمعنى أن الفتية كانوا في متسع من الكهف، أي: في مكان تصيبه الشمس، إلا أن الله -تعالى- بقدرته التي لا يعجزها شيء، منع ضوء الشمس وحرها من الوصول إليهم، خرقاً للعادة على سبيل التكريم لهم. ومع وجاهة الرأيين، إلا أن النفس أميل إلى الرأي الثاني، لأن قوله -تعالى- (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ) يشير إلى أنهم مع اتساع المكان الذي ينامون فيه -وهو الفجوة- لا تصيبهم الشمس لا عند الطلوع ولا عند الغروب، وهذا أمر خارق للعادة.¹⁵²

وترى الباحثة في هذا المثال أن الإمام طنطاوي قد فسّر هذه الآية بنقل أقوال المفسرين فيها، فقال: أن هناك قولين في بيان معنى الآية لأخصهما الإمام الرازي من أقوال المفسرين وهما:

الأول: أن باب الكهف كان مفتوحاً من جهة الشمال وكانت الشمس تطلع من جهة اليمين أو الشمال وكان ضوء الشمس لا يصل إلى داخل الكهف وإنما الهواء والنسيم فقط.

الثاني: أن المقصود أن الله سبحانه وتعالى منع ضوء الشمس أن يدخل للكهف ويقع عليهم وهذا أمراً خارقاً للعادة كرامة لهم.

ثم قام ببيان توجيه كل قول وسبب استنادهم إليه، وقام بذكر رأيه في وأيد أصحاب الرأي الثاني فقال: «ومع وجاهة الرأيين، إلا أن النفس أميل إلى الرأي الثاني.» وبهذا يتضح التفسير بالرأي والاجتهاد عند الإمامين أبو زهرة وطنطاوي وأنهما قاما بإعمال العقل وبذل الجهد والقول بالرأي.

الخاتمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه من والاه إلى يوم الدين وبعد:

فهذا ما وفق الله تعالى الباحثة إليه من البحث في أصول التفسير وفي الختام، فإن الباحثة تضع هنا أهم النتائج والتوصيات، التي وقفت عليها، وهي كما يلي:

أولاً: أهم النتائج:

1. المكانة العلمية للإمامين الجليلين أبو زهرة وطنطاوي ويعدان علمين من العلماء المعاصرين.
2. إيراد الإمام أبو زهرة وطنطاوي جملة واسعة من مسائل أصول التفسير في تفسيريهما.

ثانياً: أهم التوصيات:

- 1- أوصي طلبة العلم بالرجوع إلى هذين التفسيرين وإفرادهما ببحوث مستقلة في أصول التفسير لاحتوائهما على المادة العلمية.
- 2- مزيداً من الاهتمام لتفسير الإمام أبو زهرة وطنطاوي كونهما من التفسيرات الجليّة المعاصرة .
- 3- تشجيع طلبة العلم المتخصصين الرجوع إلى هذين التفسيرين.

¹⁵² (التفسير الوسيط: لطنطاوي، ج8، ص485-487، مصدر سابق.

المصادر والمراجع:

- 1- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي، الإفريقي (ت 711)، ابن منظور، الحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، ط3، 1414هـ، ن: دار صادر -بيروت.
- 2- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، أبو العباس، (ت: 770هـ)، ن: بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية.
- 3- التفسير والمفسرون: محمد السيد حسين الذهبي، 1398هـ، ن: مكتب القاهرة.
- 4- شرح الورقات في أصول الفقه: للشيخ محمد الحسن ولد محمد الددو الشنقيطي. دروسٌ صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية (islamweb.net).
- 5- فصول في أصول التفسير: لمساعد الطيار د. مساعد بن سلمان الطيار تقديم د. محمد بن صلاح فوزان ط. دار ابن الجوزي للنشر وتوزيع 1423هـ
- 6- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة: دار الفكر العربي.
- 7- التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي، ط1، 1997م-1998م، ن: دار نهضة مصر للطباعة الفجالة القاهرة.
- 8- المستصفي: أبي حامد الغزالي الطوسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، 1413هـ-1993م، ن: دار الكتب العلمية، 1413هـ-1993م
- 9- الإتيان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المحقق محمد أبي الفضل إبراهيم، 1394هـ-1974م، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 10- القاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر ابن يعقوب الفيروز آبادي: دار التراث، ط8.
- 11- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (د.ط.ت)، (ت.ن): (1385هـ-1422هـ) = (1965م-2001م).
- 12- الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد الأمدي، 1431هـ، صححه عبد الرازق عفيفي، 1415هـ، ن: مؤسسة النور بالرياض، 1378هـ-، أعاد طباعته المكتب الإسلامي بيروت، ط2: 1402هـ، تصوير بن حزم.
- 13- البرهان في علوم القرآن: للزركشي أبو عبدالله بدر الدين محمد البهادر ابن عبدالله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل، ط7 1367هـ-1997م ن: دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحركي، ثم صورته دار المعرفة بيروت 1311هـ
- 14- الإطلاق والتقييد وأثرهما في التفسير دراسة تطبيقية على سورتي آل عمران والنساء: فوزية أحمد فضل مختار، إشراف د.عثمان محمد أحمد جامعة أفريقيا العالمية، 1438هـ-2017م
- 15- مباحث في علوم القرآن: لمناح القطان مناع بن خليل قطان ط3 1421هـ-2000 ن: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
- 16- أصول الشاشي: نظام الدين أبي علي الشاشي، ص13، (ت.ط)، (1402هـ-1982م) ن: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- 17- صحيح وضعيف "تاريخ الطبري"، أبي جعفر بن جرير الطبري (224هـ-310هـ)، حققه وخرج رواياته : محمد بن طاهر البرزنجي إشراف ومراجعة: محمد صبحي حسن حلاق، (ت: 1438هـ)، ط1: 1428هـ-2007م، ن: دار ابن كثير، دمشق - بيروت.
- 18- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ)، ن: المطبعة الكبرى الأميرية - مصر
- 19- القطعية من الأدلة الأربعة: محمد دمبي دكوري، ص372، ط1- 1420هـ، ن: عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.
- 20- الصحاح تاج اللغة والصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4: 1407هـ-1987م، ن: دار الملايين - بيروت. المعاني الجامع: الشبكة العنكبوتية: الرابط (almaany.com).

- 21- الإبهاج في شرح المنهاج: لعلي ابن عبد الكافي السبكي، وولده عبد الوهاب، تصحيح: جماعة من العلماء، ط1: 1404هـ-1984م، بإشراف ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 22- الإتيقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن ابي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق أبو الفضل إبراهيم، ط1394هـ-1974م، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- 23- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: للفارابي: مرجع سابق. الشبكة العنكبوتية: المعاني الجامع: الرابط: [.almany.com](http://almany.com)
- 24- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، لعبد الرحيم الأسنوي، ضبط و تصحيح: عبد القادر محمد علي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1: 1420هـ-1999م.
- 25- أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله: عياض بن نامي السلمي، ط1: 1426هـ-2005م، ن: دار التدمرية- الرياض- المملكة العربية السعودية،
- 26- التفسير بالرأي الدكتور جمال مصطفى عبد الحميد عبد الوهاب ط9، 1401هـ-1998م ، مطبعة الحسين الإسلامية.
- 27- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق فؤاد عبد الباقي، ن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، وشركائه، صورته دار إحياء التراث العربي بيروت، 1374هـ-1955م.
- 28- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق د.مصطفى ديب البغا، ط5، 1414هـ 1993م، دار بن كثير للنشر، دار اليمامة دمشق.
- 29- الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط2: 1384هـ - 1964م، ن: دار الكتب المصرية - القاهرة.
- 30- التحرير في أصول التفسير: لمساعد الطيار.
- 31- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم المحمود ابن عمر ابن عمر الزمخشري جار الله ط1407هـ، ن: دار الكتاب العربي بيروت.
- 32- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبدالله الألويسي، المحقق علي عبد الباري عطية، ط1، 1415هـ، ن دار الكتب العلمية بيروت.
- 33- تيسير مصطلح الحديث: د. أحمد عمر هاشم، ط1: 1982م، ن: القاهرة - مصر.
- 34- موسوعة التفسير بالمأثور: إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المشرفون: أ. د. مساعد ابن سليمان الطيار، د. نوح ابن يحيى الشهري، ط1: 1439هـ-2017م، ن: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي - دار بن حزم - بيروت
- 35- التوضيح لشرح الجامع الصحيح: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، المعروف بـ ابن الملقن (723هـ - 804هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي والتراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي ، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، ك: ، ط1: 1429هـ-2008م، ن: دار النوادر، دمشق - سوريا
- 36- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، (بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة)، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1: 1421هـ-2001م، ن: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- 37- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (773هـ-825هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- 38- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر ابن جرير الطبري، تحقيق د.عبدالله بن المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية حجر د عبد السندي يمامة ط1422هـ-2001م، ن دار حجر للطباعة والنشر والإعلان.

- 39- تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن أبي حاتم: لابن أبي حاتم الرازي أبو محمد عبد الرحمن ابن ادريس ابن المنذر التميمي الرازي ابن ابي حاتم محقق اسعد محمد الطيب ، طبعة 1419هـ مكتبة نزار باز -المملكة العربية السعودية
- 40- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير :أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي محقق حسين شمس الدين طبعة 1419هـ، ن: دار كتب علميه منشورات محمد علي بيدون، بيروت.
- 41- مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير: لمساعد الطيار،
- 42- موسوعة التفسير المأثور: مركز الدراسات والعلوم القرآنية:
- 43- فتح الباري في شرح صحيح البخاري: رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه و صححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً: عبد العزيز بن عبدالله بن باز، ن: دار المعرفة: بيروت – لبنان -1379هـ.
- 44- شرح صحيح البخاري: ابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ن: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط2: 1423هـ-2003م
- 45- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: 807هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، ، مكتبة القدسي، القاهرة، (د.ط.ت)، (ت.ن): 1414هـ، 1994م
- 46- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني.ابو الفضل أحمد ابن علي ابن محمد ابن أحمد ابن حجر عسقلاني تحقيق عادل أحمد.
- 47- شرح القصيدة اللامية ابن تيمية، عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الدرس 19، (islamweb.net). الشبكة العنكبوتية: المعاني الجامع: الرابط: (almaany.com).
- 48- دراسات في أصول تفسير القرآن: لمحسن عبد الحميد محسن عبد الحميد طبعة 1404هـ-1998م، ن: دار الثقافة.
- 49- الموافقات: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط1: 1417هـ - 1997م، ن: دار ابن عفان.
- 50- النكت على كتاب ابن الصلاح: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) ، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، ن: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1: 1404هـ-1984م.
- 51- تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة: رسالة دكتوراه، الدكتور محمد عبد الله بن علي الخضير، الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1: 1420هـ-1999م، ن: دار الوطن، الرياض.
- 52- الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره: أبو عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح، قدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن مانع الروقي، ، ن: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط1: 1431 هـ -2010م
- 53- مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن عبد الله أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحران الحنبلي الدمشقي ط1 1490هـ -1480م ن دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان .
- 54- التفسير اللغوي للقرآن الكريم: د. مساعد ابن سلمان بن ناصر الطيار، ن: دار ابن الجوزي ط1، 1432هـ.
- 55- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، المحقق محمد عبد السلام أبو النيل، ط1، 1410هـ، 1989م. ن: دار الفكر الحديثة مصر.
- 56- التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط1: 1430هـ، ن: عمادة البحث العلمي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- 57- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، (د.ط.ت)، ن: دار المعرفة - بيروت.
- 58- تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني ، ط1: 1420هـ-1999م، ن: كلية الآداب -جامعة طنطا.
- 59- الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب : لابن فارس

- 60- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: 430هـ)، ن: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، (ت.ن): 1394هـ-1974م
- 61- سنن أبي داوود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، 202هـ-275هـ، المحقق، شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، ط1 1439هـ، 2009م، ن: الرسالة العامية .
- 62- مسند الامام احمد ابن حنبل: تحقيق شعير، الارنبوق، عادل مرشد، واخرون، اشراف د: عبدالله ابن عبد المحسن تركي ط1421:هـ-2001م مؤسسة الرسالة.